المجلة العربية العلمية للفتيان

مجلة علمية نصف سنوية

العدد الثامن والثلاثون - ذو القعدة 1444 هـ - يونيو 2023 م

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المحتويات

- تقديم
- كلمة العدد
- ملف العدد

الثقافة العلمية لدى الطفل العربي

بحوث ودراسات

- الطفل والموروث الثقافي
- الطفل في المرحلة العمرية الأولى : الاحتياجات وتطبيقاتها
- شخصية العدد : ماذا قدم بديع الزمان الجزري للإنسانية «بصمات واضحة وفكر أصيل تخطى عصر المحرك البخاري إلى عصر الأتمتة والروبوت»
- مؤسسة العدد : قرى الأطفال أس أو أس SOS

المشرف العام
أ. د. محمد ولد أعمر

المدير المسؤول
د. محمد سند أبو درويش
مدير إدارة العلوم والبحث العلمي

المنسق
أ. خيرية السلامي

الهيئة العلمية
د. لمياء الحمروني
د. محمد عبد الله ولد الأمين

التدقيق اللغوي
أ. د. عمر الفجاوي

الإشراف الفني والإخراج
أ. طارق الدريدي

توجه المراسلات إلى البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة
fetyan.scres@gmail.com

الهاتف : 900 013 70 216+

إن كافة الآراء التي تنشر بأسماء كتّابها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تحمل بالضرورة وجهة نظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بعض الصور الإضافية والأشكال تؤخذ من مصادر مفتوحة والمجلة تشكر الجميع على جهودهم

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد علمية،
أو ثقافية، أو تربوية، أو فنية، بشرط الإشارة إلى مصدرها

المجلة العربية العلمية للفتيان : مجلة علمية نصف سنوية /
تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة العلوم
والبحث العلمي . ــ العدد 38، يونيو 2023 . ــ تونس : المنظمة...
ردمد : ISSN : 0330 - 6489 = المجلة العربية العلمية للفتيان
ع 03 / 06 / 2023

جميع حقوق الطبع محفوظة للمنظمة

تقديم

يصدر العدد الثامن والثلاثون من مجلة الفتيان محملا بمضامين تربوية وتعليمية وثقافية تعكس اهتمامات الطفل وحاجاته داخل العائلة والمدرسة والمجتمع، فما تتضمنه مجلة الفتيان من مواضيع ذات علاقة بالطفل في أبعاده المختلفة الاجتماعية والتربوية والنفسية والبيولوجية يعكس رغبة المنظمة العربية للتربية والعلم والثقافة (الألكسو) في الإحاطة الشاملة بالطفل، بوصفه مستقبل مجتمعاتنا العربية. فرغم التحولات والتحديات التي يعيشها أطفال العالم في مستوى التنشئة الاجتماعية بسبب عوامل مختلفة ومتداخلة في ظل العالم الافتراضي والذكاء الاصطناعي، يظل التوجيه والمرافقة عبر الحوار والتواصل والتفاعل الإيجابي من الأمور الضرورية والمفيدة لتحقيق التوافق بين عالم الطفل الواقعي والافتراضي، ويتحقق هذا التوافق ضمن أنشطة تربوية وتعلمية تراعي مختلف قدرات الطفل الحياتية.

لذلك، فإن المنظمة العربية للتربية والعلم والثقافة وضمن اهتماماتها التربوية والثقافية والعلمية الموجهة لمختلف الفئات العمرية تسعى إلى تنويع أنشطتها ذات العلاقة بالطفل، من أجل تنمية السلوك الابتكاري ومفهوم الذات والكفاية الاجتماعية لديه، من خلال فسح المجال للمشاركة في التظاهرات الثقافية والمسابقات ضمن أنشطة فردية وجماعية، تهدف إلى تنمية مواهب الطفل وملكاته الإبداعية، وتعويده المشاركة والخلق والإبداع الفردي، والتواصل والتفاعل مع فضاءات ومجموعات متنوعة تعزز مقومات الفعل التشاركي الجماعي لدى الطفل.

وتعدّ التنشئة الاجتماعية المتوازنة التي تراعي مختلف الجوانب في حياة الطفل إحدى العمليات الأساسية لتحقيق اندماج الأطفال في بيئتهم الاجتماعية، فعن طريق التربية والثقافة والتعليم داخل العائلة وبقية المؤسسات التربوية والاجتماعية،

وبإشراف المنظمات الدولية والإقليمية وتعاونها، يكتسب الأطفال المعايير والقيم التي توجه سلوكاتهم لممارسة الأدوار الاجتماعية، ضمن توافق ومراعاة لقدرات الطفل وملكاته ومواهبه.

كما تستند التنشئة الاجتماعية الموجهة للطفل إلى أهمية المقاربة التشاركية في تحديد مضامين الأنشطة التربوية والثقافية والتعلمية الموجهة للأطفال وأشكالها، إذ يكون هؤلاء فاعلين في التصور والبرمجة والتخطيط والتنفيذ، استنادا إلى تأطير علمي وبيداغوجي، وفي إطار مراعاة مبادئ حقوق الطفل التي نصت عليها المواثيق الدولية، وضمن النظم الإقليمية لحقوق الإنسان التي تراعي العناصر والممارسات والقيم الثقافية والحضارية التي تؤكد طبيعة ونوعية الحقوق التربوية والثقافية والتعليمية التي يتمتع بها الأطفال في الدول العربية ونوعيّتها.

أ.د. محمد ولد أعمر
المدير العام للألكسو

كلمة العدد

يسرّ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) أن تضع بين أيدي قرائها الأعزاء، العدد الثامن والثلاثين (38) من المجلة العربية العلمية للفتيان، الذي يتضمّن ملفا خاصا بالطفل العربي سعيا من الألكسو في إيلاء الطفل العربي مزيدا من الاهتمام في ظل العالم الافتراضي والذكاء الاصطناعي، وقد تضمّن العدد مواضيع علمية متنوّعة ذات علاقة مثل «التنشئة الاجتماعية الثقافية للطفل داخل الأسرة في عالم متحول» و«التطور التقني وثقافة الأقران ودمج التراث الثقافي كحق في تعليم الطفل» و«الطفل والموروث الثقافي» وقد ساهم في كتابتها خبراء متخصصون من الوطن العربي.

ويقدم هذا العدد نبذة عن حياة بديع الزمان الجزري الذي ولد في منطقة الجزيرة السورية التي تقع بين دجلة والفرات، وعن إنجازاته، ويتحدث هذا المقال في مجالات العلوم التطبيقية والهندسة الميكانيكية.

وفي إطار التعريف بالمؤسسات المعنية بالطفل، يقدّم هذا العدد توضيحًا عن قرى الأطفال «أس أو أس» SOS التي تعد تنظيما دوليا يشرف عليه الاتحاد الدولي لقرى الأطفال، ويضمّ أكثر من 158 جمعية وطنية منتشرة في جميع أنحاء العالم.

وتحسن الإشارة إلى أن الاهتمام بفاقدي السند الأسري والعمل على رفع العراقيل التي يمكن أن تهدد سلامتهم البدنية والمعنوية لتحقيق اندماجهم في المجتمع، يعدّ مسؤولية مشتركة بين كل الفاعلين في المجتمع عبر الوظائف التي تنجزها مؤسسات المجتمع التربوية والتعليمية وبقية المؤسسات الاقتصادية والثقافية، باعتبار أن حاجات الطفل متكاملة ومرتبطة ببعضها، من أجل تحقيق تربية متوازنة ومتكاملة تعزز مكانة الطفل في مجتمعه.

وتشكر الألكسو الكتّاب الذين أغنوا هذا العدد بمقالاتهم، كما تعوّل على جهود الأكاديميين والخبراء للكتابة في هذه المجلة، بما يلبّي تطلّعات الأجيال القادمة.

ملف العدد :

الثقافة العلمية لدى الطفل العربي

- التنشئة الاجتماعية والثقافية للطفل داخل الأسرة في عالم متحول — 8
  د. منذر الطمني
- التطور التقني وثقافة الأقران ودمج التراث الثقافي كحق في تعليم الطفل — 15
  د. ماجد الشيباني
- العقم ورحلة البحث عن طفل — 26
  د. بوشتى الزياني
- عمالة الأطفال في الشوارع في إقليم كوردستان والعراق — 31
  أ. م. د. اراس إسماعيل خضر
- كيف يقضي الطفل المصري وقت الفراغ ؟ رحلة الانتقال من العالم التناظري إلى العالم الرقمي — 46
  د. أحمد موسى بدوي

ملف العدد:

الثقافة العلمية لدى الطفل العربي

ملف العدد

التنشئة الاجتماعية والثقافية للطفل داخل الأسرة في عالم متحول

د. منذر الطمني
أستاذ باحث في علم الاجتماع ـ جامعة تونس

تهتم هذه الورقة البحثية بأشكال التنشئة الاجتماعية الثقافية الموجهة للطفل داخل الأسرة ووسائطها ووظائفها في زمن التغيرات والتحولات العميقة التي تعرفها المجتمعات.

وتطرح التساؤلات الآتية: ما ملامح التنشئة الاجتماعية؟ وكيف تبرز أشكالها ووسائطها ووظائفها.

وتهدف إلى استشراف مستقبل التنشئة الاجتماعية والثقافية لفائدة الطفل داخل العائلة في مجتمعاتنا العربية، عبر إنتاج أشكال الفعل التي تساير مجمل التحولات والتغيرات القيمية المرتبطة بالتوجيه والمرافقة للطفل داخل الأسرة، وفي امتداد مع باقي مؤسسات المجتمع، وإعادة إنتاج هذه الأشكال تارة أخرى.

1 - التنشئة الاجتماعية: المعاني والدلالات

التنشئة الاجتماعية مفهوم يرتبط بالنسق والبناء الثقافي للمجتمع، فهي تسهم في هيكلة أسس التربية الاجتماعية وفق حاجات الأفراد والمجموعات ورغباتهم، من خلال إنتاج التصورات والتمثلات والسلوكات بوساطة الثقافة في معناها السوسيولوجي والأنثروبولوجي.

فالثقافة بالمعنى السوسيولوجي تعني الروابط والعلاقات الاجتماعية وأشكال التعامل والتفاعل (ديفيد انغلز،جون هيوسون، 2013 ص18)، وهي تنتج أشكال التعامل والتفاعل ومضامينهما، لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في مراحل مختلفة من تطور المجتمع.

وترتبط التنشئة الاجتماعية بالثقافة في معناها الأنثروبولوجي، وتعني مجموع العناصر المادية والرمزية التي يحتكم إليها أفراد المجتمع، فكل ما ينتجه الإنسان عبر تاريخه الطويل من معارف وقيم وعادات وأعراف وفنون يعد عناصر ثقافية يستند إليها المجتمع في تدبير شؤونه، واعتبر الأنثروبولوجي الفرنسي المعاصر كلود ليفي ستراوس أن السلوكات الاجتماعية ترتبط بالإنتاج الرمزي، مثل اللغة وطرق التعبير والطقوس والرقص والإبداعات الفنية واللباس (مصطفى تيلوين،2011،ص34).

فالثقافة تزودنا بما نحتاج إليه من عناصر مادية مثل اللباس والغذاء والمعمار، وتزودنا الثقافة بالقيم والمعايير في معانيها الرمزية التي يحتاج إليها المجتمع لتنظيم العلاقات والممارسات في جانبها

المادي : السلوك اللباسي، والسلوك الغذائي، والسلوك المعماري، وكل السلوكات والممارسات التي تحددها طبيعة الحياة الاجتماعية، على اعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي كما يؤكد ذلك العلامة عبد الرحمان بن خلدون، فالتواصل والتفاعل يفرضان علينا عناصر ثقافية لتلبية رغباتنا البيولوجية والاجتماعية والثقافية، باعتبار أن لوجودنا محددات اجتماعية وثقافية وبيولوجية.

وهنا تطرح صعوبة الفصل بين المجتمع والثقافة، فهما وجهان لعملة واحدة، والتنشئة الاجتماعية لصيقة بالثقافة، باعتبار أن هذه الأخيرة كما يعدّها مالك بن نبي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وهي طريقة وأسلوب حياة تمارس على الأفراد عبر التربية داخل الأسرة والمدرسة والجامعة.

وقد عرف عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم التربية بأنها "الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال الصغيرة التي لم تصبح بعد ذلك ناضجة للحياة الاجتماعية، وموضوعها إثارة عدد من الاستعدادات الجسدية والفكرية والأخلاقية عند الطّفل وتنميتها. (Durkheim ,1982,p22).

وترتبط التنشئة الاجتماعية بمجموعة أفعال اجتماعية وثقافية يمارسها الأفراد عبر المؤسسات الاجتماعية: العائلة والمدرسة والجامعة ومراكز الأطفال، ومن خلال أطر مستحدثة، مثل وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

ويعدّ إميل دوركايم عالم الاجتماع الفرنسي أول من استعمل مفهوم التنشئة الاجتماعية ضمن تصور نظري ومنهجي، من خلال تحليلاته المعمقة في مجال سوسيولوجيا التربية، إذ يرى أن مسار التنشئة الاجتماعية حتمي للوصول إلى اجتماعية الفرد، وأين يتحقق اندماجه ضمن بيئته الاجتماعية، فينشأ بحسب دوركايم الوعي الجماعي من خلال التربية التي تحقق نقل المكتسبات الثقافية الجماعية (Durkheim,1982,p49) ضمن مؤسسات المجتمع التي تتأثر في علاقتها بالتنشئة الاجتماعية بعوامل اقتصادية وسياسية وتكنولوجية، وتسهم في إنتاج تمثلات الأفراد وصياغة تصوراتهم .

وعموما تتضح ملامح للتنشئة الاجتماعية باختلاف المجتمعات في طرائق تفكيرها وتربيتها وثقافتها وحضارتها، باعتبارها تمدها بالأساليب الموجهة للطفل في مجال الرعاية والمرافقة والتعليم وجميع القيم الاجتماعية والثقافية الموجهة لسلوك الطفل.

2 - التنشئة الاجتماعية الثقافية للطفل داخل الأسرة: الأشكال والوظائف

يتساءل الإنسان: لماذا نحتاج إلى التنشئة الاجتماعية؟ وفي السؤال تكمن الإجابة باعتبار أن المجتمع يتكون من أفراد ومؤسسات وتنظيمات، وإرادة التعايش بين الأفراد وبقية مكونات المجتمع ضرورية لتحقيق الحاجات، وقد عبر عن ذلك عبد الرحمان بن خلدون بأن الإنسان مدني بالطبع.

فلما كان الإنسان غير قادر بمفرده على تلبية كل حاجاته، فهو يحتاج إلى غيره لتأمين استقراره ومتطلباته من جهة، وإلى مؤسسات وتنظيمات وقيم في معانيها المادية والمعنوية والسوسيولوجية والرمزية لتساعده على بناء الروابط والعلاقات الاجتماعية وتحقيق التفاعل، لأنه كائن اجتماعي.

فالأفراد يلبون حاجاتهم عبر المؤسسات الاجتماعية، والأسرة تعد من مؤسسات المجتمع التي تؤمن الأدوار والوظائف المتعلقة بالإنجاب والتربية والحاجات الاقتصادية والوجدانية للطفل.

والأسرة هي الوحدة الأساسية الأولى في المجتمع؛ لأن الفرد ينشأ بداية ويترعرع داخل هذه الوحدة، وقد عدّ أوجست كونت عالم الاجتماع الفرنسي أن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، لوظائفها المختلفة والمتعددة.

ونشير إلى كونت واهتمامه بالأسرة؛ لأن هذا المفكر يعدّ من أوائل العلماء بعد ابن خلدون الذين أسهموا في نشأة علم الاجتماع، الذي يهتم بدراسة المؤسسات والظواهر الاجتماعية.

ويرى كونت أن الأسرة هي المكون الأول للمجتمع، وتتميز بخصائص متنوعة جعلها تتسم بالتعاون وتقسيم الأعمال، فيتأسس بين أفرادها التضامن في الوظائف. فالأسرة مثل الجسم الذي يتعاون أعضاؤه من أجل بقائه (Durand ;Weil,1997,p22) .

وبهذا المعنى، تستمدّ الأسرة جذور بقائها من خلال ما يقوم به أفرادها من سلوكات وأفعال تبرز ملامحها في التدبير المشترك لتحقيق حاجاتها المتطورة والمتغيرة.

ويعكس تغير شكل الأسرة من ممتدة إلى نواتية طبيعة الخصائص والوظائف والحاجات المتغيرة بحسب التحولات والتغيرات التي يعرفها المجتمع، فالأسرة تؤثر وتتأثر بمختلف العوامل والمتغيرات التي عرفتها عبر تاريخها الطويل. وقد فسر عالم الاجتماع الإنجليزي هربرت سبنسر التغيرات التي تحدث في المجتمع انطلاقا من الأسرة، فبعد أن كانت الأسرة بنية بسيطة ومتجانسة من خلال ما تقوم به من وظائف وأدوار، تعقدت بتعدد الخصائص والوظائف،وتغيرت الأسرة من البنية البسيطة إلى البنية المعقدة، فقد كانت الأسرة وحدة متجانسة تقوم بكل الوظائف بدون تخصص،ومع نموها وتطورها، برز فيها التخصص والتباين أو ما يعبر عنه باللاتجانس .(Durand ;Weil,Ibid p24)

فالأسرة تتطور بحسب الوظائف والأدوار التي تخضع لها في علاقتها بالمجتمع، وهو ما يجعل التنشئة الاجتماعية للأفراد أسلوب لمواكبة هذا التغير، وهو ما يستدعي تحليل أسلوب تحقيق هذه التنشئة للأطفال ضمن مقاربات وأشكال جديدة.

*** التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال المرافقة**

المرافقة تعني التوجيه والرعاية والتأطير في كل ما يهم حياة الطفل الوجدانية والعلائقية والسلوكية، من خلال توجيه أفعاله وتنظيمها ضمن مسار التنشئة الاجتماعية. فالمرافقة ضرورية لتقويم سلوك الطفل وتعديله بحسب عادات المجتمع وقيمه، وهي تمكن الطفل من نماذج السلوك الاجتماعي المنظم التي تعزز الصفة الاجتماعية للطفل بحسب مجتمعه.

وتعتمد المرافقة الاجتماعية للطفل على الظروف الاجتماعية والاقتصادية لبيئته، وعلى مجمل الأوضاع المحيطة إقليميا وعالميا، وهذا يعني أن تغير الظروف يؤدي إلى تغير طبيعة التنشئة، وتغير الملامح الاجتماعية والثقافية لشخصية الطفل.

والمرافقة هي إحدى العمليات الأساسية لاستقرار أي مجتمع واستمراره، من خلال نقل الموروث الثقافي المادي واللامادي الذي يتحصل عليه المجتمع عبر تاريخه الطويل، فالمكتسبات الثقافية هي التي يتحصل عليها الأفراد داخل المجتمع مثل السلوك الغذائي وطريقة اللباس وطرق الاتصال والتواصل والحفاظ على أشكال التراث من ممتلكات مادية محيطة بالطفل داخل العائلة وخارجها أي في الفضاءات العامة، ويتمكن الطفل عبر المرافقة من استيعاب تراث مجتمعه وثقافته بالتقليد والمحاكاة، وتدريجيا تبنى السلوكات والمواقف التي تعزز مكانة الطفل في مجتمعه.

***التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال الوساطة الاجتماعية والثقافية**

التنشئة الاجتماعية للطفل من منظور الوساطة الاجتماعية هي تدريب الأطفال على القيام بادوار مستقبلية تقتضيها الحياة الاجتماعية من تنظيم وتواصل وتفاعل بين الأفراد فيما بينهم، وبين الفرد والمؤسسات الاجتماعية: العائلة والمدرسة وبقية مؤسسات المجتمع. وهذه المؤسسات تدمج عناصر ثقافتها في شخصية أفرادها عن طريق التنشئة الاجتماعية، وهي من منظور عالم الاجتماع أميل دوركايم " ذلك الفعل الذي يقوم به الجيل الراشد على الجيل الصاعد " بهدف إدماج الفرد على نحو قسري وإلزامي في سيرورة المجتمع، بما يضمن توازن المجتمع واستقراره.

فوظيفة الأسرة لا تتحدد في الإنجاب، بل تهيئ الإنسان وتهذب ثقافته التي يتفق عليها المجتمع. والوساطة الاجتماعية تعزز تشكل الشخصية الاجتماعية للطفل من خلال توجيه سلوكه وتعويده اتباع أفعال تتوافق مع المجتمع، خاصة أن الأطفال يتحركون في عالم افتراضي يسوق لثقافة العنف والتفاهة، ويعيشون في حالة من اللامبالاة، وأصبحنا نشهد تراجعا كبيرا لدور الأسرة والمدرسة في أداء وظائفها، لذلك فإن الأدوار الوسائطية مهمة اليوم في الإحاطة والتواصل والإصغاء لما يقوله الطفل وما يفكر فيه لتعديل السلوك والمواقف بما يتوافق مع متطلبات الطفل والتنظيم والتوازن

الاجتماعي والثقافي، ضمن تحولات وتغيرات عميقة ومستمرة يعرفها المجتمع في سياق تحولاته.

3 - التنشئة الاجتماعية والثقافية للطفل والتحولات المجتمعية

إن المجتمعات العربية جزء من المجتمعات الإنسانية والتغيرات التي تؤثر في مختلف أفعالنا وسلوكاتنا وقيمنا، فالفعل الفردي أضحى صفة مميزة لقيم ما بعد الحداثة، وتبرز التغيرات والتحولات في شكل البنية الاجتماعية والثقافية لمجتمعاتنا من خلال الروابط الاجتماعية التي تتآكل وتتفكك بسبب الغلو في الفردية، التي تأثرت بنمو العالم التقني والمجتمع المعقلن (جاني،2014،ص47)، ويتأثر الطفل بنوعية العلاقات والروابط السائدة داخل العائلة بوصفها مؤسسة أولية في التنشئة الاجتماعية، فيستبطن تلك الخصائص العلائقية ويعيد إنتاجها في أشكال رموز وممارسات ترتبط بالمعاملات اليومية داخل العائلة مع الأب والآم والإخوة، ولاحقا داخل الفضاء المدرسي مع التلاميذ والمربين والإداريين والعملة.

ويتأثر الطفل بما هو ثابت في التنشئة الاجتماعية الأولية داخل العائلة، كقيم التواصل والتفاعل من أجل تأمين الحاجات الأساسية، كالغذاء والشعور بالأمن والاطمئنان داخل العائلة؛ لأن هذه الوظائف الأساسية للعائلة التقليدية عرفت تحولات بفعل عوامل مختلفة: اقتصادية بسبب العمل وتغير طبيعة الموارد المادية للعائلة، فتحول شكل العائلة من عائلة ممتدة كان جل أفرادها يشتغلون بالأرض لتلبية احتياجاتهم.

فقد كانت الحاجات الاقتصادية تشبع بصفة جماعية، ويوجد تقسيم الأدوار بين مختلف أفراد العائلة في مجال العمل الفلاحي، وضمن هذا الإطار، نشأ الطفل في أجواء من التواصل والتفاعل التلقائي، تأكيدا لقولة العلامة عبد الرحمان ابن خلدون:"الإنسان مدني بالطبع" إذ يكتسب الطفل قواعد الحياة الجماعية من خلال القيام بالمهمات البسيطة بحسب سنه وقدراته في إنجاز الأعمال، فيتعود تحمل المسؤولية بدون حسابات فردية، وتدريجيا يمارس السلوك المبني على التضامن التلقائي العفوي الذي عبر عنه عالم الاجتماع "إميل دوركايم".

وتستند تربية الطفل على نفس الأسلوب،إذ إن تربية الطفل ورعايته في العائلة التقليدية تتمان بصفة جماعية بين الأم والأب والإخوة والعم والخال.

وقد أسهمت التحولات المجتمعية في تغيير عوامل التنشئة الاجتماعية الموجهة للطفل ومضامينها، في اتجاه نقل أنماط من السلوك والممارسات لدى الطفل تبرز ملامحها من خلال أشكال جديدة للتربية تتجه نحو دعم السلوك الفردي ضمن العائلة النواتية، التي تتركب من الزوج والزوجة والأبناء، ويتضح أن وسائل التواصل الاجتماعي أسهمت إلى حد كبير في تقليص التفاعل التلقائي الطبيعي المستمر بين أفراد العائلة، فالإدمان الالكتروني لدى الآباء والأبناء الأطفال على حد سواء قلص التواصل بين أفراد العائلة، وأصبحت الحياة الافتراضية بديلا من الحياة الاجتماعية الواقعية، وأفراد العائلة في تواصل فردي ضمن عالم افتراضي، فتحول سلوك الطفل في اتجاه العزلة والتقوقع، إذ أصبح الطفل في علاقة وطيدة بالبرمجيات والتطبيقات عبر جهاز

الحاسوب والهاتف الجوال.

وقد تغير سلوك الطفل وأفعاله ومعاملاته داخل العائلة وخارجها بسبب التحولات والتغيرات التي تحدث، والتي أسهمت الثورة الرقمية في تثبيتها، فاستبطنت شخصية الطفل تأثيرات هذه التحولات من خلال التنشئة الاجتماعية عبر الوسائط الرقمية.

خاتمة

تنحت شخصية الطفل ضمن سياق من التغيرات والتحولات، فقد مرت مجتمعاتنا العربية بمراحل مختلفة في تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتغيرت معها أشكال التربية والتنشئة الاجتماعية الموجهة للطفل، ولا سيّما التحولات الرقمية التي أسهمت في توجيه سلوك الطفل ورقمنة قيم التواصل والتفاعل مع أفراد العائلة وداخل المدرسة وفي العلاقة بباقي مؤسسات المجتمع.

قائمة المراجع

- مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ديفيد إنغليز- جون هيوسون (2013)، ترجمة لما نصير، مراجعة فايز الصياغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قطر/ الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

- مدخل عام في الأنثروبولوجيا، مصطفى تيلوين، (2011)، دار الفارابي، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

- مقدمة العلامة ابن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تأليف عبد الرحمان ابن خلدون،1377م،مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت - لبنان.

- نهاية الحداثة، جاني فاتيمو(2014)، ترجمة نجم بوفاضل، مكتبة الفكر الجديد، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

-Emile Durkheim(1982).Education et sociologie,4ème ed؛Puf.

-Jean-Pierre Durand,Robert Weil(1997),Sociologie contemporaine,2eme édition,vigot.

التطور التقني وثقافة الأقران ودمج التراث الثقافي كحق في تعليم الطفل

د. ماجد الشيباني
كاتب وباحث سعودي

ملف العدد

تؤدّي الأُسرة في الثقافات المختلفة دورًا مهمًا في تشكيل سلوك الأطفال وأنماط تفكيرهم، وهي التي تُعِدّ الأطفال للتفاعل مع المجتمع الأوسع، وغالبًا ما يكون تفاعل الأطفال مع والديهم بمثابة المعيار الأول النموذجي في كيفية التصرف مع الآخرين ومنها إلى تعلم مجموعة متنوعة من القواعد الاجتماعية، والثقافية، والتوقعات، والمحظورات.

ويمكن للطفل تلقّي هذه التأثيرات الثقافية بطرق مختلفة، كالمحاكاة للآخرين في محاولة استكشاف عوالم الأشياء من حوله؛ فيعتمد على الأصوات والمشاهدة واللمس، ومن خلال تذوق الأشياء ومَضْغها وشمّها. وهذا السلوك الحسي الحركي يتطور حتى يصل الطفل إلى أسلوب محادثة يشبه أسلوب والديه، وربّما لا يقبل المجتمع مرجعه الثقافي، وهذا ما قد يضر بالصورة الذاتية للطفل ونموّه.

وتؤثر المرجعية الثقافية التي يستجيب لها الأطفال منذ الولادة، بما في ذلك العادات والتقاليد في الطريقة التي يتطورون بها اجتماعيًّا وعاطفيًّا وجسديًّا ولغويًّا، وهذه الثقافة تقود الأطفال باستمرار في حياتهم اليومية إلى إنشاء العلاقات القائمة بين عناصر الأشياء، حتى تصل إلى أن تكون إرشادًا لهم في مناسبات مستقبلية ممكنة.

وتحمل الروابط العائلية ذلك الطابع الهرمي في فكرة السلف والخلف، الّذي قد يكشف عن حضور كلي في ثقافة الكبار ويؤثر في كيفية تأديب سلوك الأطفال، وهذا يمكن أن يؤثر في نمو الطفل، ويمكننا التمييز عندما يتعلق الأمر بثقافة الكبار بين الآباء من الثقافات الفردية، الذين يميلون إلى التمسك بمبادئ الاستقلال والحرية، ولا يعاقب الشخص إلا على فعله هو، وبين الآباء من الثقافات الجماعية الذين يميلون إلى الاعتماد على بعضهم، وفي حالة الخطأ، يكون الأقارب مسؤولين. في حين يميل الأطفال إلى النمو ليكونوا مؤيدين للمجتمع، وإلى تعلم إحراز النجاح وتحقيق إمكانياتهم، ولكن هذه الاختلافات الثقافية تترك أثرها بلا شك في التفاعلات بين البالغين والأطفال أيضًا، وفي كيفية تطور سلوك الطفل اجتماعيًّا، وفي هذا النظام الاجتماعي المعقَّد من أُسَر نوويّة وأُسَر ممتدة وجيران وجماعات، وتتشكّل من جديد بذرة ثقافة الطفل، بالمخالطة، والثقة بالآخرين، وبالكفاية والمثابرة، والكفاح في سبيل التفوق، وبالتخيل والحس الرياضي والفضول الفكري، وقد تصطدم بحالات يُخفق فيها المرشدون ويصابون بالقلق والعداء والاكتئاب.

وتتشكّل هذه البذرة أيضًا بما تنتجه الألعاب التعليمية وتقارير التقدم في هذا الشأن مِن قِبَل المؤسسات، فالطفل يمكن أن يتصرّف مع أصدقائه تصرّفًا مختلفًا عما هو عليه في المنزل، ولا بد لها أن تحمل نوعًا من المعرفة الصامتة التي نحتاج إليها لبناء أفضل؛ ولأن الثقافة تُعدّ مؤشرًا لرفاهية الطفل في المستقبل؛ فإن أولئك الذين يعملون مع الأطفال، بما في ذلك المتخصّصون الاجتماعيون والمستشارون، في حاجة إلى فهم التأثيرات الثقافية في نمو الطفل.

ويمكن النظر إلى هذه المجموعة بأكملها على أنها موارد متاحة لمساعدة الباحثين في تتبُّع نموّ الطفل بالشكل السليم.

ثقافة الأقران للأطفال Children's peer culture[1]

عندما يكون الأطفال في نفس المكان، فإنهم ينشئون ثقافتهم الخاصة بكل ما تحمله من سمات وقواعد غير معلنة، وتتشكل ثقافة الأقران لدى الأطفال من بعض الإجراءات العاديّة والأخلاق والمعرفة الضمنية والقيم والمعاني، ويعدّ اللعب جزءًا أساسيًّا من الحياة اليومية لثقافات الأقران، إذ يؤدّي إلى المتعة والشعور بالحرية وبناء المعاني المشتركة من خلال استخدام القواعد والإيقاعات.

والتعلم من اللعب مكسب طبيعي عند الأطفال، وقد جاء في بحث علمي جماعي وَصْف لقواعد مجموعات اللعب وطرق تكوينها في ثقافة الأقران للأطفال ([2]) فبدأت بالكشف عن أن الأبحاث السابقة في مجموعات اللعب ركزت على التحقيق فيمن يختارون رفاقًا في اللعب في مراكز الطفولة المبكرة،

1 -Participation in play activities in the children's peer culture by Mirja Köngäs, Kaarina Määttä and Satu Uusiautti 2021

2 Nuzzaci, A. (2020). The Right of Children to Use Cultural Heritage as a Cultural Right. Open Journal of Social Sciences, 8, 574-599

وأوضحت أن دور العوامل المادية والاجتماعية كان تأثيره واضحًا على خيارات الأطفال، فعلى سبيل المثال، يُفضّل الأطفال أولئك الأقران المهتمين بأشياء مماثلة، في حين أن الأضداد لا تكمل بعضها في هذه الحالات.

وقد وجد أن الأطفال الذين يعانون مشكلات سلوكية، مثل العدوانية، أو الذين يمثلون وضعًا اجتماعيًّا أقل، هم أكثر عُرضة للاستبعاد من أنشطة اللعب، مع التمييز هنا بين ما يتعلق بالاستبعاد بتلك الحالات التي تتجاوز مرحلة الطفولة المبكرة والمتعلقة بقوانين الأطفال أنفسهم، فالثرثرة لا تحظى بشعبية، والأطفال الذين يلجأون إلى مساعدة الكبار في نزاع متبادل هم رفقة غير مرغوب فيهم.

ومن ناحية أخرى، يبدو أن القبول والمشاركة في أنشطة اللعب يعززان التنمية الاجتماعية الإيجابية والصداقات واحترام الذات والرفاهية.

ويمكن أن يؤدي ترك الطفل خارج أنشطة اللعب إلى مشكلات اجتماعية حادة، أو سوء التكيف، أو العدوانية، أو السلوكيات التي تؤدي إلى الإقصاء، كالنشاط الإجرامي المدرسي، وتعاطي المخدرات، والاكتئاب والقلق في مرحلة البلوغ والشباب؛ بسبب أن كونه زميلًا لعب غير مرغوب فيه قد تم تبنّيه في مرحلة الطفولة.

وتشير الورقة العلمية وفقًا لمراجعات الباحثين إلى أن هناك القليل من الأبحاث حول كيفية ارتباط المهارات العاطفية بتشكيل مجموعات اللعب داخل ثقافة الأقران للأطفال، فقد ركز الباحثون على الاهتمام بالسمات الخاصة لثقافة أقران الأطفال، وكيفية ارتباط المهارات العاطفية بتشكيل مجموعات لعب الأطفال، وانصبَّ الاهتمام الخاص على طرق كيفية تصرُّف الأطفال، من أجل تضمينهم في أنشطة اللعب، ومَن يتم قبولهم والذين يتم تركهم في الخارج.

ولكن، لماذا يختار الأطفال التصرُّف بالطريقة التي يتصرفون بها؟

يرى الباحثون أنه إذا تمكّنا من فهم ثقافة أقران الأطفال بشكل أفضل وتشكيل مجموعات اللعب، يمكننا دعم تنمية مهاراتهم العاطفية.

لقد شرع فريق البحث بالحصول على البيانات من خلال الملاحظة عن طريق تصوير أنشطة الأطفال في مواقف اللعب المختلفة بالفيديو، وتم تحليل البيانات من خلال الوصف الإثنوغرافي باستخدام التحليل الدقيق وإطار المشاركة، وركّز التحليل على مَن يمكنه المشاركة في اللعب ونوع السلوكيات التي تمنع المشاركة. بالإضافة إلى ذلك، تمت ملاحظة تصرفات الأطفال من أجل المشاركة في أنشطة اللعب بوصفها جزءًا من ثقافة الأقران، لكي يتم تضمينها في التواصل غير اللفظي، والامتناع عن النقد، وأخيرًا إظهار الحماسة والإثارة التي تُحدثها طريقة اللعب.

ثقافة الأقران للأطفال فيما يتعلق بثقافة الكبار

Children's peer culture in relation to adults' culture

تختلف ثقافة الأطفال عن ثقافة الكبار في إعادة صياغة بعض المفاهيم الاجتماعية المأخوذة من ثقافة الكبار بطريقة تراعي السياق، وتعكس شخصياتهم وأهدافهم وجدول أعمالهم في مجموعات اللعب في مراكز الطفولة.

ووُجد أن الأطفال يشاركون في ثقافتين: الأولى تلك التي شكّلوها بأنفسهم، والأخرى هي الثقافة المهيمنة التي يسيطر عليها الكبار. وتعيش هذه الثقافات جنبًا إلى جنب، على الرغم من أن إطار العمل مبنيّ أولاً وقبل كل شيء مِن الكبار، لكنَّ الأطفال على دراية بطرق مختلفة للتصرف من أجل تحقيق أهدافهم في هاتين الثقافتين، ففي مجموعات اللعب، تكشفت إشكالية أولى في الجمع بين خيال الطفل وتلك التعليمات المباشرة مِن الكبار.

والعمل الجماعي نموذجي لثقافة الأقران، فالأطفال جيّدون في التفاوض الجماعي، والمشاركة، وتنظيم عوالمهم، بالاعتماد على أساليب التفكير التي يقدّمها الكبار، لكنّهم حساسون تجاه الضغط الخارجي، ويحاولون التصرف بطريقة مقبولة اجتماعيًّا، ويمكن لثقافة الأقران أن تخلق أساسًا عاطفيًّا آمنًا يستمر حتى سنّ الرشد، لكنَّه إذا تُرِكَ دون فَهْم لثقافة أقرانه، فقد يجد الطفل صعوبة في معرفة التصرف في مواقف التفاعل المستقبلية.

ويمكن للكبار تعزيز علاقات الأطفال من خلال محاولة التعبير عن المشاعر التي يمرُّون بها في المواقف المختلفة، ومساعدة الأطفال على تعرُّف الحالات العاطفية للآخرين، ومع ذلك، ووفقًا لنتائج فريق العمل البحثي، فإنه يجب على الكبار أحيانًا احتواء أنفسهم والسماح للأطفال باستخدام إستراتيجيات اللعب الخاصة بهم دون تدخُّل.

وتكمن مهمة الكبار في توفير مساحة آمنة تدعم تعلم المهارات الاجتماعية والعاطفية وممارستها، وبخلاف ذلك، فإن دور الكبار هو العمل كحاجز في مفاوضات اللعب التي يمكن أن تتصاعد، ولهذا، كانت مساهمة

الفريق البحثي في مساعدة الكبار على تفسير ثقافة الأقران للأطفال، وكيفية تواصل الأطفال مع بعضهم. وبعض المواقف لا تعني حدوث أيّ شيء سيئ، وغضّ النظر عن ارتكاب الأطفال للمخالفات الصغيرة خيرٌ من إفساد سرورهم بالتأديب، ولكن إذا أدَّى ذلك إلى إيذاء المشاعر فسيحتاجون إلى دعم الكبار.

ويمكن معالجة الفوضى المطلقة وعدم الانتظام التي وصفها دوركايم في أنشطة الطفل والطبيعة التي لا تعرف الاعتدال عن طريق ثقافة الأقران، وما يمكن ملاحظته في هذا البحث هو أهمية الأسلوب الذي يستخدمه الطفل عند تكوين مجموعات اللعب ضمن ثقافة الأقران في مراكز الطفولة المبكرة، وتُعدّ هذه المراكز من أهم الساحات لثقافة الأقران التي تظهر بشكل أساسي في أثناء أنشطة اللعب ومن خلال بناء الثقافة والتفاعل المتبادل واستخدام المهارات العاطفية، إذ يخطط الأطفال ويتفاوضون ويحللون ويتخذون القرارات في إطار السمات الخاصة لثقافة أقرانهم وثقافة عمل الكبار، ومدى تعزيز الوعي بالأدوار الاجتماعية وبناء مهارات التعامل مع الآخرين بالتعاطف معهم، من خلال التخيل وأخذ وجهات النظر.

ونلاحظ، أيضًا، في عملية تنمية الطفل حركة ديناميكية وتفاعلية، فالأطفال قادرون على التفاعل مع العالم من حولهم، وعلى فهم ما يستدعونه ويتلقونه من الآخرين، كما أن البيئة تشكل أيضًا طريقة تفكيرهم وتصرفهم.

ويتلقى الأطفال الذين ينشأون في ثقافات مختلفة مدخلات محددة من بيئتهم، لهذا السبب، هناك مجموعة واسعة من الاختلافات الثقافية في معتقداتهم وسلوكهم، مع الإشارة إلى وجود تفاوت عظيم بينهم، فهناك أطفال علقوا بسبب حرب أو في صراعات أهلية، وهناك أطفال تعرّضوا إلى الاستغلال في سوق العمل، وبعض الأُسر ذات الدخل المحدود لا تستطيع مقاومة تلك النزعة الاستهلاكية، التي يستطيعون فهم دوافعها ومقاومتها، لكن الطفل لا يستطيع إقناع أقرانه.

وفي عالمنا العربي، نجد إشكالية أخرى، فعلى الرغم من أهمية اللغة، وهي إحدى الطرق العديدة التي تؤثر الثقافة من خلالها في التنمية، فإن هناك صعوبة في الاحتفاظ بلغة ثقافتهم، والمحافظة عليها في مقابل تعلم لغات أكثر عملية من اللغة الأمّ بحجة أنها لغة العلم، وهذه العلاقة من الشد والجذب تكمن في مسايرة ذلك الخَلْق الخاص لأسلوب مستحدَث سائد للتفاعل بين الأشخاص في كل المجتمعات البشرية.

واللغة هي الهوية الّتي يمكن أن ترتبط ارتباطًا في غير محلّه بالخبرة والتقليد، بحجة أن الأطفال الصغار يعلمون جيدًا ما قد علَّمه لهم مرشدوهم؛ لأن اللغة تصوغ ما يفكرون ويعقلون، وإضافة إلى ذلك، يختلف محتوى ما يتحدث عنه الأشخاص في محادثاتهم أيضًا عبر تأثيرات ثقافية هي في أصلها أنماط سلوك وعادات مشتركة يتعلمها الطفل من المؤسسات في مجتمعه.

وفي فهم هذه التفاصيل الصغيرة خطوة أولى يتبعها التقارب بين عمل هذه المؤسسات، حيث الأدوار الوظيفية المتبادلة، التي تبدأ في محيط الأسرة النواة، وتتمثل في العلاقة بين الطفل والعلم والعلاقة من جهة، وبين الإبداع في مخيلته والثقافة في إدراكه من جهة أخرى، ونظرًا لأن العالم يزداد عولمة بشكل متزايد، فإن للمعرفة المتعلقة بالاختلافات الثقافية في تفكير الأطفال وذاكرتهم، وكيفية تفاعلهم مع البالغين آثارًا عملية مهمة في العديد من المجالات التي تشكل

فيها التكنولوجيا والثقافة الشعبية جانبًا مهمًّا من عوالم حياة الأطفال.

وفي العلاقات الأسرية تفاصيل أولى تتكشف باستخدام اللغة، وإذا كان في امتلاك لغة معينة والتمكن من قواعدها ومفرداتها من سبيل في التمكن من صورة الحياة، نجد أنَّ التوسع الدلالي لمفردة لغة يمكن أن يؤثر في تأدية اللغة لذلك الدور المهم في التراكم الثقافي والتطور التاريخي، فاللغة المكتوبة أو المنطوقة لغة، وهناك لغة الإشارة، ولغة الحاسوب، ولغة الرياضيات، مع الإشارة إلى طابع اللغة الوظيفي، فهي لغة شخصية أو لغة موضوعية: شخصية تعتمد على مخيلة الفرد مع بعض من الإدراك بما تحمله ذاكرته من معرفة تراكمية، وموضوعية تعتمد على صرامة المنهج العلمي بكل تفرعاته الإبستمولوجية، فكل موضوع يمر بذات ينتج لنا قصدية الذات لا الموضوع فحسب، وقد تنجح الذات في وصفها لموضوع وقد تخفق تحت تأثير خذلان الذاكرة.

وهذه اللغة تتميز بالنظام المحكم غير القابل للتغيير، وقد يجد الطفل نفسه منذ ولادته داخل أنساق لغوية محكمة المعاني، في الوقت الذي نجد فيه أن امتلاك اللغة المشتركة يشكل رمزا لوحدة الأشخاص المتكلمين بها، فهي تخلق الشعور بالانتماء إلى جماعة ما، وهذا يجرنا إلى مسألة الهوية، وهناك مستويات متعددة للهوية التي يقصد بها حالة التطابق بين شخصين أو شيئين وأكثر، كالهوية الفردية والهوية الجماعية والهوية الوطنية والهوية الثقافية.

وتلتحم الهوية الفردية مع معارف الفرد نفسه التراكمية، وهي عمل ذاتي لا يمكن أن يتقارب معه أحد إلا في المجتمعات الأحادية التي تتفنن في فرض ثقافة قسرية ذات اتجاه واحد. والهوية الجماعية تلتحم مع الرموز بوصفها عوامل محدد في مسألة الوعي الجماعي. والهوية الوطنية هي أشياء وأشخاص، وهي الإرث الثقافي الذي ينظر إلى أصالته في ذاته كونه يحمل هوية من يحملها.

ولم تأخذ عبارة "التراث الثقافي" نفس المعنى مع مرور الوقت، فقد شهدت تغيراً في مصطلح التراث والثقافة، لذلك، فإن مفهوم التراث الثقافي أصبح تدريجيا يشمل فئات جديدة، فعلى سبيل المثال، علم الآثار، إذ بذل جهد كبير لتوسيع هذا المفهوم أيضًا ليشمل التراث اللا مادي، من خلال إدخال التمييز بينه وبين التراث المادي. ويتم الآن إيلاء الاهتمام لأشكال ثقافية أخرى تشمل التصورات والممارسات والتعبيرات لمعارف تعدّ رمزا للهوية الثقافية لبلد أو مجتمع، وهذه المعالم المتألفة من التشكيلات الفيزيائية أو البيولوجية لها قيمة استثنائية، وهذا يدل على أن فكرة التراث لا تتوقف عن توسيع حدودها ومعانيها من خلال افتراض امتداد غير محدود تقريبًا.

لذلك، فإن التراث الثقافي هو مفهوم مفتوح اليوم، فقد أصبح من الواضح الآن أن الثقافة هي عملية ديناميكية، تعكس كل مكون من مكونات الحياة في الحاضر والماضي، من جميع جوانبها، وتؤكد بشكل ملموس أن حضور كل فرد هو أيضًا نتيجة ثقافية، إذن الثقافة الشعبية تتمثل لنا في أشكال متنوعة، نلتمسها دون غيرنا، وكلما تقدّم الزمن، أصبح الارتباط بها ضعيفًا؛ بسبب التقدم الاقتصادي الذي حجَب بعض الحِرَف، وغيَّب بعض الفنون، وباتت حاضرةً في الساحة من خلال "ثقافة الصورة"، وحتى في وجود المساحات التي تقبل فكرة إعادة إحياء الموروث وبعثه من جديد؛ استجابةً لتلك المطالبات في رؤيته كقيمة وهوية وأساس لفتح حوار بنَّاء ومقارنة بين

الخبرات المتنوعة والأسس المنهجية؛ يتم التعامل معه كمنتج اقتصادي، لا علاقة له بالمبادئ الثقافية التي تتعلق بالحفاظ على التراث الثقافي وإمكانية نقله، كهدية، إلى أجيال المستقبل.

ونجد أن هناك تأثراً بالثقافات الأخرى على حساب الثقافة الشعبية، ومن الصعب أن نمنع أطفالنا من تعرف كل ما هو جديد، والانكشاف على ثقافات أخرى، ففي تلمُّس مفهوم "التعددية الثقافية" والانفتاح على الآخر قد نشعر ببعض الراحة، لكنَّه قد يكون متقنعًا بثقافة أحادية كونية، والتماهي معها يعني التقدم، والانفصال عنها قد يعني التأخر. وما يزال للإرث الثقافي حضور، ويمكننا القول بأنها ما زالت حتى هذه اللحظة صامدة في وجه كل محاولة في التغيير بحجة التقدم.

وفي محاولة الغوص أكثر في أعماق العلاقة الموجودة بين الثقافة والتراث الثقافي وحقوق الطفل والتعليم، قد نجد تساؤلات فيما إذا كان حقًّا للأطفال استخدامُ التراث الثقافي بجميع أشكاله، وهذا الحق الثقافي بإمكانه أن يهدف إلى تعزيز مهارات الأطفال ورفع جودة التعليم، وفكرة الحرمان من هذا الحق ليست سوى الوجه الآخر للإقصاء الاجتماعي والثقافي.

وقد جاء في ورقة علمية بعنوان" حقوق الأطفال في استخدام التراث الثقافي كحق ثقافي" للباحثة الإيطالية أنتونيلانوزاسي[3] تحليل مفصل لهذه العلاقة، فهي ترى أنّه إذا كان التعليم في الأساس عملية ثلاثية، إذ يصبح الطفل بالغًا، وعضواً في مجتمع وثقافة في وقت معين وفي مكان معين، وموضوعًا له تاريخ شخصي، فإن الصالح الثقافي يدفع بالتعليم إلى الأمام لجعله حقيقة.

وحركة التنشئة الاجتماعية والفردية في نفس الوقت قد تسمح للفرد بالدخول في خصوصية الأكوان الرمزية، من أجل الوصول إلى ثقافات معينة، لبناء الذات وهوية الفرد.

ومن خلال استخلاص بعض الآثار المترتبة على ما سبق، يمكننا أن ندرك أن تعليم التراث هو حق متجذر في الماضي، وحق في المستقبل، ولكنه أيضًا حق عالمي، وحق في الاختلاف الثقافي والأصالة الشخصية، وباختصار، هذا حق يجب أن يؤخذ في الاعتبار عندما نتحدث عن "التعددية الثقافية" التي من خلالها تتحقق عالمية حقوق الإنسان وتعليم الفرد في مجال حقوق الأطفال. وهذه المجموعة الديناميكية من الحقوق ضرورية لموازنة التنظيم المبالغ فيه والسيطرة المفرطة للبالغين على حياة الأطفال التي تنطوي على تصور ضيق للثقافة، وليس على العكس من بُعد كبير منها.

إنها ملاحظة لا يمكن أن تتركنا غير مبالين، خاصة عندما نفكر في حقيقة أن البالغين غالبًا ما يشركون الأطفال في صراعات تعليمية واجتماعية يصعب التعامل معها، وأن العملية التعليمية لا تسمح للطفل بمشاهدة الاكتشافات للثقافة، وبدلاً من ذلك، غالبًا ما تحمل نفسها عبء عملية تتسم بالاستبداد، لكن الطاعة ليست فضيلة، كما كتب دون ميلاني (1965) الذي من أجل ضمان الوصول إلى الثقافة للجميع، أشار بإصبعه إلى التفاوت في نقاط البداية، بدعوى أن الثقافة فوق الأجزاء، واستحالة تجاهل الظروف الاجتماعية والاعتراف بالثقافات التي

3 - Digital Games as a Context for Children's Cognitive Development: Research Recommendations and Policy Considerations by Fran C. Blumberg, Kirby Deater-Deckard, Sandra L. Calvert, Rachel M. Flynn, C. Shawn Green, David Arnold, Patricia J. Brooks (2019)

يحملها الأشخاص. وهذا شيء مشابه لما نلاحظه اليوم في مكافحة "الأمية"، أو الأمية الوظيفية، والتي يجب الإشارة إلى أن طريقة الارتباط بالواقع يتم تصفيتها من خلال الثقافة الأبجدية.

ومن الواضح أن هذا لا يعني أنه يجب استخدام المهارات الأبجدية حصريًا في الحياة المهنية، ولكن من المناسب اعتبارها ضرورية أيضًا للاستفادة ثقافيا من التراث المادي واللا مادي. ولكن لأغراضنا، من المهم اعتبار الحق في معرفة القراءة والكتابة وحق الإنتاج ظاهرتين مختلفتين يمكن تمثيلهما ويؤثران على بعضهما.

وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، كان هناك توسع بطيء في القاعدة الاجتماعية للاستخدام بمرور الوقت، وفي معرفة العناصر التي يحتاجون إليها للاستفادة من تجربة التراث الثقافي. ويترتب على ذلك أنه إذا لم يكن هناك تعليم في الثقافة والتراث الثقافي، أي تعليم يعتاد المسؤولية الثقافية والاختيار والحوار والتفاهم وما إلى ذلك، فإن "التعليم الأساسي" مفقود أيضًا (اليونسكو، 1949)، ومع ذلك، فإن جزءا من تلك العدالة الأساسية التي تلتزم جميع البلدان بتعزيزها مفقود أيضًا.

وقد أصبح مصطلح "التعليم الأساسي" الآن قديما، ولكن تم استخدامه في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي لوصف مستوى أو قطاع معين من النظم التعليمية، أي للإشارة إلى تعليم يسمح باكتساب مهارات القراءة والكتابة وغيرها من المهارات الأساسية وكذلك المعرفة والقيم اللازمة للمشاركة في المجتمع.

ومع هذا المفهوم، تم التركيز على "الاحتياجات والمشاكل الملحة" للمجتمعات، واقترح المجتمع الدولي نفسه، من خلال التعليم الإلزامي التمهيدي والأساسي، من أجل تلبية احتياجات التعلم الأساسية للجميع. ومع ذلك، فإذا فسر التعليم الأساسي بشكل تدريجي منذ ذلك الحين على أنه "محو الأمية الوظيفية"، بمعنى "الرضا" التدريجي باحتياجات التعلم الفردية، فإن حقيقة أن المجتمع نفسه قد فتح السؤال حول كيف يبدو أنه احتياجات حاسمة يجب تفسيرها والوفاء بها.

وقد ذهب الإعلان العالمي للتعليم للجميع (الأمم المتحدة، 1990) في هذا الاتجاه الذي، بالإضافة إلى الاعتراف بأهمية الطفولة المبكرة للنمو اللاحق للطفل، عالج أيضا، من بين أمور أخرى، مشكلة توسيع وسائل التعليم الأساسي وأهدافه بحجة ليس فقط أن معرفة القراءة والكتابة باللغة الأم يعزز الهوية والتراث الثقافي، ولكن أيضًا، يجب استخدام جميع أدوات المعلومات المتاحة والاتصالات والعمل الاجتماعي للمساهمة في نقل المعرفة الأساسية والإعلام والتثقيف.

التقنية والوسائط الرقمية

تبدو مفاهيمنا ممتلئة بحالة من الإرباك، في ظل التسارع التقني الذي وصل إلى مراحل متقدمة من خَلْق عوالم افتراضية تكاد تكون أكثر واقعية من الواقع نفسه، فقد بدأت مع الألعاب الخاصة بالأطفال؛ وكان الأثر الواضح على نمط جديد يؤثر في تنمية الطفولة بشكل عام،وإذا ما أخذنا ألعاب الفيديو، نجد أنها تساعد الأطفال على تطوير مهارات المعالجة البصرية، وبعض الألعاب الرقمية تنتهج فكرة اللعبة ذات القواعد Games with rules ليبدأ الطفل رحلة التحدي في فهم هذه القواعد والتغلب عليها، مما يعزز ثقته بنفسه.

لكن لا ننسى أنها أيضًا قد تؤدي إلى سلوك عدواني، وغالبًا ما يكون تأثيرها سلبيًّا على المهارات والسلوكيات المعرفية، ويبدو أن الأمر سهل، ويمكن تجاوزه بسلام؛ لأنه إذا اختار الوالدان أن ينظرا إلى الواقع على أنه عالم مليء بالقِيَم ومثير للتساؤلات حول الشر ومعناه، فعندها فقط تتحول هذه الأفعال إلى سلوكيات تخضع لمعايير الخطأ والصواب.

وتكمن الإشكالية هنا أن الأطفال الذين لا تشجّع ثقافتهم الألعاب الإلكترونية قد يتعرضون للسخرية مِن أقرانهم، لفقدانهم التسلية الشعبية التي ينخرط فيها الأطفال الآخرون، وقد تعكس هذه الفجوة في المعرفة حول مرحلة الطفولة المتوسطة مخاوف قوية وواسعة النطاق بشأن تأثيرات الألعاب والتطبيقات الرقمية قبل مرحلة الطفولة المتوسطة وبعدها.

وتشمل هذه المخاوف التأثيرات المتزامنة واللاحقة لاستخدام الألعاب على الأداء المعرفي والاجتماعي والعاطفي للأطفال والمراهقين الصغار جدًّا، وهذا التضاد في الإيجابية والسلبية سببه التسارع التقني المهول، وعدم السيطرة على المُصمّمين لهذه الألعاب في رحلة التكسب المادي، وقد يُفضي إلى منابع تقتحم ذوات أطفالنا.

وفي الفحص الذاتي سعي على الدوام إلى الفهم، وإلى تلمس الفعل، فما كان يعدّ حقيقياً في وقت من الأوقات يمكن ألا يعود كذلك، إذا لم تتكشف في تفاصيلها، وهي طريقة أفضل من أن نعمّم "التجاهل" كردة فعل على مآلات التداول الاجتماعي للخيارات أو العادات.

وتتطلّب الإنجازات الحقيقية في التعلم أن نضع في اعتبارنا مدى غرابة هذا النوع المُستحدَث من التعلم، ففي استطلاع حديث أُجري حول صناعة الحاسوب وألعاب الفيديو، أفادت جمعية "برامج الترفيه" (2018م) أن 64 ٪ من 4000 أسرة أمريكية تحتوي على فرد واحد على الأقل لعب ألعاب الفيديو ثلاث ساعات أو أكثر في الأسبوع، وكان أقل قليلاً من 30 ٪ من هؤلاء اللاعبين تبلغ أعمارهم ثمانية عشر عامًا أو أقل.

وغالبًا ما تكون ممارسة الألعاب الرقمية شأنًا عائليًّا؛ إذ أشار نحو ثلثي الآباء الذين شملهم الاستطلاع إلى أنهم لعبوا ألعاب الفيديو مع أطفالهم على أساس

أسبوعي، ورأوا الألعاب مفيدة لأطفالهم، على الرغم من استخدامها في كل مكان، إلا أن هناك القليل جدًّا من الأبحاث حول الجوانب المفيدة أو الضارة لألعاب الفيديو لإدراك الأطفال في سن المدرسة أو تعلمهم. ([4]).

ويبدأ استخدام ألعاب الفيديو في وقت مبكر من النمو، وتشير البيانات المأخوذة من استطلاع تمثيلي على المستوى الوطني إلى أن مقدار اللعب يزداد حتى تظهر أنماط الاستخدام المستقرة خلال مرحلة الطفولة المتوسطة والمراهقة.

وقد وجد، أيضا، استطلاع لأطفال الولايات المتحدة تتراوح أعمارهم بين 0 - 8 أن الأطفال، في المتوسط، يستخدمون الألعاب التفاعلية نحو خمس وعشرين دقيقة يوميًّا، مع استخدام قليل جدًّا قبل سنّ الثانية. والأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 5 - 8 سنوات لعبوا نحو اثنتين وأربعين دقيقة، فعلى سبيل المقارنة، أشار استطلاع سابق لشركة Common Sense Media 2015 م) إلى أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و12 عامًا يتفاعلون مع الألعاب عبر الأجهزة المحمولة وأجهزة ألعاب الفيديو بمعدل ساعة واحدة وتسع عشرة دقيقة يوميًّا، وهو ما يشبه ساعة واحدة وواحدة وعشرين دقيقة من استخدام لعبة فيديو يومية للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و18 عامًا.

لقد كان اللاعبون المتفانون في الغالب من الأولاد (70 ٪)، مع 27 ٪ من الفتيان المراهقين، ولا سيما 2 ٪ من الفتيات المراهقات، وقد أبلغوا عن لعب ألعاب الفيديو كنشاطهم المفضل.

إنّ استخدام الوسائط الرقمية هو نظام يختلف أيضًا في جودة التعرّض وكمّيّته، فعلى سبيل المثال، قد ينجذب اللاعبون المتفانون الذين يميلون إلى أن يكونوا ذكورًا، بشكل خاصّ للتعلم من خلال الألعاب الرقمية، كما أن التركيز على جودة تجربة الألعاب يوفّر فرصة أكبر للابتكار التعليمي.

وهذه الأرقام تدفعنا إلى التساؤل: ما الذي يمكن أن تسهم به هذه التقنية في الحصول على نفس المكتسبات التي يحصل عليها الطفل في ثقافة الأقران؟ فهذه التّقنية لا يمكن النظر إليها على أنها ذات اتجاه واحد؛ فهي متنوعة، وتشمل ثقافة الصورة بجميع ما تحمله من محتوى من برامج ومسلسلات وأفلام وألعاب إلكترونية ووسائط رقمية في مرحلة الطفولة المتأخرة؛

وعندما نعقد مقارنة بين الطريقة المُثْلَى في ثقافة الأقران التي وصلت إلى مراحل متقدمة من التنظيم مع ذلك الانفراد مع الأجهزة، نجد أن قوانين الطفل الخاصة هي مَن تتحكم هنا، وهي مَن تقيّم أدواتها في الحصول على مكتسبات معرفية تُعزّز مِن معارف الطفل التراكمية، ولا وجود لفكرة الاستبعاد من اللعبة، التي تكشف في ثقافة الأقران عن وجود خلل يمكن معالجته بهدوء بفضل التواصل بين المرشدين وعائلة الطفل.

وهذه القوانين الجديدة بدأت ملامحها تظهر على السطح، لكننا لم نصل بعدُ إلى النتيجة المطلوبة؛ لقلة الأبحاث في هذا الشأن، وما نشر فهو في حدود النظرة التشاؤمية دون الاعتراف بأننا

4 -نفس المرجع.

أمام تحوُّل جديد لا يمكن بأيّ حال من الأحوال تجاهله. وإذا كان المتخصّصون الاجتماعيون والمستشارون في حاجة إلى فهم التأثيرات الثقافية في نمو الطفل، فإن المبرمجين والمصممين في حاجة أيضًا إلى فهمها، وعليهم يقع العبء الأخلاقي الأهم الذي يمكن تعزيزه بمنتج أفضل.

وما يمكن الاعتماد عليه مبدئيًّا في عملية الاستخدام التقني المفرط هو التركيز على عملية تنظيم الوقت للحدّ من الإفراط في استخدام التقنية، عندما يبدأ الطفل تعلم كيفية القراءة، فقد يكون حلاً دائمًا في خلق نوع من التوازن بالاهتمام بالقراءة، والكتابة، والاستماع.

كما أنّ وجود مكتبة ولو بعدد كتب قليل في داخل غرفة الطفل، وأن تترك له حرية اختيار العناوين يمكن أن يُحْدِث تحولاً إيجابيًّا من باب التغيير الذي يبحث عنه الطفل.

وفي مسألة الاعتراف بأهمية التراث الثقافي لتنمية الطفل، فإن الوسائل الجديدة والقديمة يمكن لها أن تسهم بفعالية في نفس الوقت، مثل المتاحف على سبيل المثال، والتي ترى الباحثة الإيطالية أنتونيلا أنها تملك أدوات المنفعة اللازمة عندما تتوافر لها المساحة في الحضور في المدارس بطريقة تشكل في المعالجة نظامًا متكاملًا تكميليًّا قادرًا على تعزيز الوعي بأهميتها.

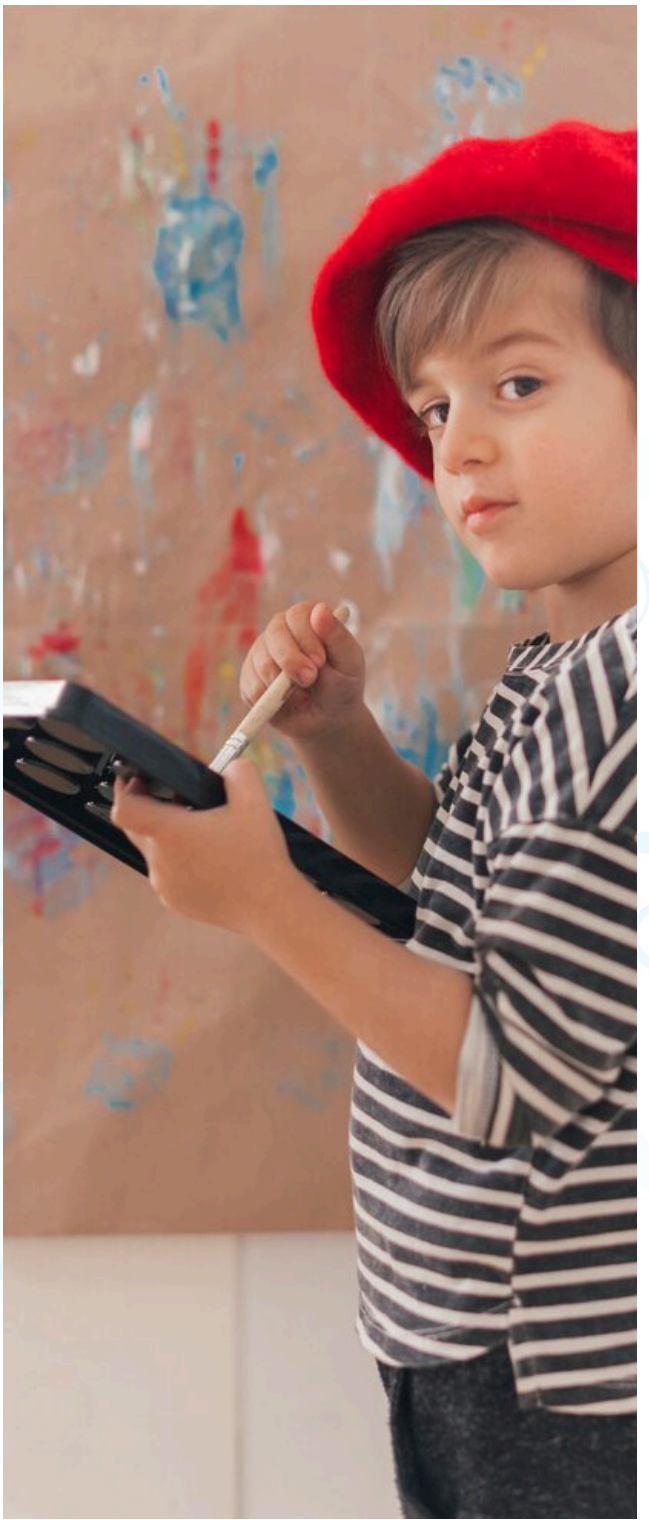

ملف العدد

العقم
ورحلة البحث عن طفل

د. بوشتى الزياني
باحث في سوسيولوجيا الصحة والمرض بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب

يشكل قدوم طفل إلى الأسرة حدثا سعيدا، فتتغير الأجواء فيها وتبدأ الاحتفالات؛ وتطلق النساء الزغاريد إيذانا بمجيء المولود السعيد؛ فمن عادات المغاربة مثلا عند ولادة مولود جديد الاحتفال "بالعقيقة" وهي مناسبة تتم في اليوم السابع للولادة، بذبح خروف وتسمية المولود باسم جميل.

إن هذه الأهمية للأطفال بالنسبة للآباء تأتي من الرغبة في تحقيق غريزة الأمومة والأبوة لدى الإنسان، فضلا عن الرغبة في ترك أبناء يرثون أسماءهم وثروتهم، والحصول على مكانة اجتماعية مميزة، ذلك أن المال والبنين زينة الحياة، وهي رغبة نجدها منتشرة أكثر في المجتمعات التقليدية والمحافظة. بيد أن رغبة الأمومة والأبوة تلك قد تتحول إلى كابوس يؤرق الأزواج، عندما يكتشفون كونهم غير قادرين على الإنجاب، فيتأخر هذا الحلم بالنسبة إليهم أو يتبدد مع الوقت، عندما يدركون تماما أنهم يواجهون ويعانون من العقم.

وطبيا، يمكن التمييز بين نوعين من العقم؛ العقم الأولي والعقم الثانوي، فالأولي يشير إلى عدم القدرة على تحقيق الحمل بعد 12 شهرا من الزواج، ويُتوَقع أن يتسبب هذا النوع من العقم في عدم الإنجاب لنحو 05% من الأزواج عبر العالم، أما العقم الثانوي فيحدث بعد حمل ناجح، وبهذا المعنى تُعد المرأة التي حصل لها إجهاض تلقائي من الذين يواجهون العقم الثانوي، ويرتبط هذا النوع من العقم بأسباب تتعلق بممارسات الرعاية الصحية الفقيرة، علاوة على الممارسات السوسيوثقافية، مثل الزواج من الأقارب، وختان الفتيات.

وتُعزى أسباب العقم عند المرأة إلى تشوهات تصيب المبيضين أو قناتي فالوب أو الرحم أو عنق الرحم أو المهبل وتؤثر في خصوبة المرأة عدم الحمل والإنجاب، وتبقى تشوهات المبيضين وقناتي فالوب أهم سببين للعقم عند المرأة بنسبة 70% من الحالات.

أما أسباب العقم عند الرجل، فترتبط أساسا بوجود الحيوانات المنوية وشكلها، ذلك أن إنتاجها يمكن أن يَشُوبَهُ نقصٌ خلال مرحلة النضج - في البربخ - من تشكل السائل المنوي أو انتقال الحيوانات المنوية نحو القنوات الناقلة.

وفضلا عن الأسباب العضوية للعقم، هناك علاقة بين العقم والمشكلات السيكولوجية (النفسية) كما تطورت في الثقافة الغربية، إذ تقوم حالات العقم العضوي على الوظائف السيكولوجية المختلة، ذلك أن القلق اللاشعوري (اللاوعي) حول الأمومة مثلا يشكل سببا يقود إلى العقم؛ أي ما يسمى بالخوف اللاشعوري، بوصفه سببًا لمعظم حالات العقم.

غير أن نسبة من هذه الحالات لم تُعرف لها أسباب عضوية، وهي الحالات التي تسمى العقمَ غيرَ المفسَّر طبيا، إذ تُعزى إلى أصل سيكو-جيني؛ أي نتيجة لعوامل عاطفية، وبخلاف ذلك، نجد أن العقم ليس دائما نتيجة للمشكلات السيكولوجية (النفسية)، وإنما العكس هو الذي يقود إلى الإصابة بمشكلات سيكولوجية؛ مثل القلق والضغط النفسي والاكتئاب وتدني تقدير الذات، بوصفها كلّها نتيجة لعلاج العقم أو لحالة غياب الأطفال.

وجدير بالذكر أن تعريف العقم يختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات، كما أن التفسير الطبي له لا يستطيع التقاط الاختلاف في التصورات الثقافية لعدم إنجاب الأطفال، إذ إن الأشخاص أو الأزواج بدون أطفال لا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم يواجهون العقم حتى يُعَرِّفُوا حالة عدم إنجاب الأطفال بوصفها مشكلة، ومثال ذلك أنّ الأزواج – في سياقات معينة- يعدّون أنفسهم في حالة عقم إذا لم يحصلوا على عدد معين من الأطفال، أو جنس الأطفال الذي يريدون، ففي بعض مناطق باكستان، يعدّ عدم إنجاب طفل ذكر عقما.

وتؤدّي الثقافة دورا كبيرا في تحديد معنى العقم وأسبابه كيفية التعامل معه، ويغلب أن تُلامُ المرأة بسبب العقم، ففي الثقافة الصينية التقليدية مثلا، تُكرَّمُ المرأة عندما تُنجِبُ طفلا حتى في ظروف سياسة الطفل الواحد، وأما في الثقافة اليابانية والكورية، فتنعت المرأة التي لم تنجب بالمرأة المصنوعة من الحجر، وتُعدّ المرأة بدون أطفال كالرجل بالنسبة للفيتناميين.

ويحظى إنجاب الأطفال بأهمية بالغة لدى اليهود الأرثذوكس؛ إذ لديهم طقوس متعلقة بالعقم تتضمن

تلاوة عبارات من الكتاب المقدس القديم، في حين يمكن أن ينظر إلى المرأة الّتي هي في حالة عقم في المجتمع المكسيكي على أنها امرأة ناقصة مُنحت لعنة بسبب بعض الأفعال السيئة، ويواجه العقم علاوة على العلاج التقليدي بالأعشاب، وتتم الصلاة للعذراء « غوادلوبي » من أجل الحصول على أطفال.

وفي غامبيا مثلا، تتردد النساء على استشارة «الطبيب المسلم» أو «Marabout» أو زيارة «أماكن مقدسة»؛ مثل زيارة بحيرة التماسيح أو ضريح مشهور بالقدرة على العلاج أو شجرة مقدسة.

أما بالنسبة للمسلمين ونظرا لأهمية الأطفال عندهم، تخضع المرأة المتزوجة حديثا إلى ضغط من طرف محيطها الاجتماعي من خلال السؤال الدائم عن الحمل والإنجاب، كما يمكن أن تتعرض إلى نظرة دونية من طرف عائلتها ومحيطها الاجتماعي.

وفي ذات السياق، يتميز العلاج التقليدي في الثقافة المغربية بمجموعة من الوصفات تشكل جزءًا من الطب التقليدي بالمجتمع المغربي، مثل المشروبات العُشبية، وحرق بعض المنتوجات التي يصفها « الْفْقِيه »، وشرب الماء الذي توضع به الطلاسم، وارتداء التمائم وكَيِّ بطن المرأة بقضيب من حديد.

ويرتبط تحديد هذه الوصفات بأسباب العقم الذي يُمكن أن يُسببه « البَرْد » أو العين الشريرة أو السحر أو جني شرير، كما أن تحديد سبب العقم في الثقافة الشعبية المغربية يبقى من اختصاص « الْفْقِيه » و« الشُوَّافة أو العرافة ».

فمن بين الوصفات التقليدية لعلاج العقم لدى المغاربة، تتناول النساء اللقلاق محروقا وممزوجا بالعسل الصافي، أو تستعمل « رأس الحانوت » الذي هو مزيج من عدة أعشاب تشتريها المرأة من العطار، تجمعها وتغسلها وتدعها تجف، ثم تدقها جيدا وتخلطها بالعسل. لمعرفة من المسؤول من الزوجين عن عدم الإنجاب. وتأتي المرأة «بالحلبة الجديدة» لا القديمة تضعها في التراب، وتتبول عليها، ثم تضعها في إناء صغير، ونفس الشيء بالنسبة للزوج، فإن نبتت حلبتها على بولها فإنها تنجب، وإن نبتت حلبته على بوله، فإنه ينجب وهي لا تنجب.

وعلى عكس العلاج الشعبي، يلجأ الأزواج إلى الحلول الطبية، خاصة استعمال التكنولوجيا المساعدة على الإنجاب، إذ يلجأ إلى التخصيب الاصطناعي الذي يتمثل في حقن رحم الزوجة بحيوانات منوية للزوج، ويكون التخصيب خارج الرحم؛ أي في المختبر أو ما يُعرف بأطفال الأنابيب، إذ يتم من خلال قيام الطبيب بعملية تخصيب البويضة في المختبر، مثل ما تتم طبيعيا داخل جسد المرأة.

ولقد شاع استعمال هذه التكنولوجيا منذ ولادة (لويس براون-Louise Brown)، أول طفل وُلِدَ بتقنية التخصيب الاصطناعي في الخامس والعشرين

من يوليوز من سنة 1978، التي قدَّمت للعالَم حقيقة واقعية، على إمكانية الحمل والإنجاب، عبر وسائل لم تكن معروفة من قبل.

إن الإقبال المتزايد على هذا النوع من العلاج بوساطة التكنولوجيا الطبية لا يخفي الصعوبات التي يواجهها الأزواج من أجل الحصول على هذه الخدمة الطبية، إذ تصطدم غالبا بارتفاع تكلفة العمليات العلاجية والاستشفائية، خاصة في المجتمعات النامية كما هو الحال في إفريقية، فهناك صعوبة في الوصول إلى خدمات الرعاية الطبية وتكنولوجيا الإنجاب في المجتمعين الغامبي والزيمبابوي، تتمثل في النقص الذي تشهده، علاوة على ارتفاع تكلفتها، وتجعل الأزواج الذين يعانون العقم يستعملون أنواعا عديدة من الأدوية، ويمزجون غالبا بين العلاج الطبي والعلاج الشعبي.

ولا تقتصر الصعوبات التي يواجهها الأزواج على الجوانب المادية وتوافر هذه الخدمات الصحية بمعظم المجتمعات، ولكن يواجه استعمال هذه التكنولوجيا الحديثة بانتشار تمثلات ثقافية تقاوم استعمال هذه التكنولوجيا، أو تحاول أقلمتها مع الخصوصية الثقافية المحلية؛ أي إن ثمة ما يسمى الحساسيةَ الثقافيةَ نحو استعمالها.

وفي مصر مثلا تُعاش تجربة العلاج بالتكنولوجيات الحديثة والحصول على الأطفال بوساطة تقنية الأنابيب من طرف المصريين بنوع من السرية والخوف من الحسد والسخرية الاجتماعية، إذ غالبا ما لا ينتهي الحصول على طفل الأنابيب بالسعادة التامة لدى الأزواج المصريين، ذلك أن القليل من المصريين الذين حصلوا على طفل، كان لديهم الاستعداد للاعتراف بذلك، لأي شخص من خارج الدائرة العائلية المغلقة، أما في المغرب فتتأثر عملية التخصيب بوساطة الحيوانات المنوية للزوج بالدين، مع أنها ممارسة شائعة لدى معظم الأزواج، لهذا يلجأ الرجال والنساء إلى استشارة الإمام، نظرا لعدم التّحقّق مما إذا كان الإسلام يسمح بذلك.

وأمام عدم تحقق رغبة الزوجين في الحصول على أطفال عن طريق العلاج الطبي بوساطة التكنولوجيا الطبية أو عن طريق العلاج الشعبي، يجد الزوجان نفسيهما، في دوامة مشكلات نفسية واجتماعية بسبب رغبتهما في تحقيق الأمومة والأبوة من جهة، وبسبب الضغوط العائلية من جهة ثانية، وتطرح فكرة الزواج من جديد، أو تعدد الزواج، لكن هناك اختلاف بين المجتمعات في هذا الأمر، ففي المجتمعات المتقدمة لا يفضل تعدد الزوجات من أجل الإنجاب، في حين نجده مطروحا بحدة بالمجتمعات النامية.

وهكذا، يمكن القول: إن الثقافات تتعامل مع مشكلة العقم بثلاث طرق، بعضها يقبل بالحلول الاجتماعية، مثل تعدد الزوجات والطلاق والتبني، وعدد آخر منها يستعمل التكنولوجيا الطبية وطب النباتات للعلاج، وفي ثقافات أخرى يتم اللجوء إلى أشخاص روحانيين، والحج إلى بعض الأماكن المقدسة مثل زيارة الأضرحة، وفي المغرب مثلا، يبقى خيار الزواج من امرأة ثانية من أجل الحصول على أبناء مطروحا لدى الرجال بالمجتمع القروي المغربي، وفي باكستان يعدّ الزواج مرة ثانية والطلاق هما نتيجتين للعقم، ويغلب اللجوء إلى الطلاق والزواج بهدف الحصول على أطفال، فبصرف النظر عن كون الإسلام يبيح تعدد الزوجات، لكنّه ممارسة غير مقبولة اجتماعيا، ففي مصر أيضا، يعدّ

تعدد الزوجات مرفوضا من طرف النساء، ولا سيّما المتعلمات منهن.

إن هذه الوضعية المتسمة بالمعاناة تدفع الأزواج إلى اللجوء إلى عملية تبني الأطفال، من أجل تحقيق حلم الأمومة والأبوة، بيد أن تبني الأطفال وكفالتهم يطرحان مشكلات وصعوبات، منها ما هو قانوني، يرتبط بالقوانين المنظِّمة لعملية التكفل، ومنها ما يتعلق بالعلاقة بالطفل المتكفل به. وفي هذا، نجد أن الإسلام يحظر التبني (الكفالة)، بسبب غياب روابط الدم مع الأب، وغياب رابطة الأمومة.

غير أن رفض التبني في مصر مثلا لا يرتبط بالدين بقدر ما يرتبط بقلق ثقافي عميق الجذور، يخترق المصريين من كل الطبقات الاجتماعية، بسبب عدم شرعية الطفل، فضلا عن الخوف من استعادة الأبوين الحقيقيين للطفل المتكفل به، ثم الخوف من عدم ظهور الشعور بالتقارب العاطفي والقرابة بين الأبوين والطفل المتكفل به، والخوف من السخرية الاجتماعية التي قد تلحق الطفل المتكفل به داخل العائلة، والخوف مما يمكن أن يلحق بالأم من سخرية بسبب عدم قدرتها على إنجاب طفل من صلبها.

ومع ذلك، نجد في باكستان عندما تُستنفد كل محاولات العلاج، وتكون إعادة الزواج من جديد غير ممكنة بالنسبة للزوج، تزداد إمكانية تبني طفل، وتُتَبنّى عادة الابنة الرابعة لشقيق الزوج، إذ ليس هناك ذكور للتبني؛ لأن نظام القرابة في الثقافة الباكستانية مبني على النسب إلى الأب، لهذا تتبنى العائلات عادة من عائلة الزوج، بحيث يتم تفضيل تبني ابنة أخ الزوج أولا أو ابنة الأخت ثانيا.

وتشكل رحلة البحث عن طفل من طرف الأزواج تجربة مؤلمة لمعظم الأزواج، خاصة بالنسبة للمرأة التي يُحمِّلها المجتمع مسؤولية عدم الإنجاب، فتتعرض إلى العنف اللفظي والجسدي من طرف الزوج أو من طرف أفراد عائلته.

غير أن الحصول على الأطفال عن طريق نجاح العمليات الطبية أو الكفالة والتبني، لا ينسينا العلاقة التي بين الآباء والأبناء، فمن جهة، لا تنتهي رحلة البحث عن طفل بالحصول عليه، بأنها تشكل مرحلة جديدة في تربيته أحسن تربية والعناية به وتعليمه لكي يكون فردا صالحا في المجتمع، ومن جهة ثانية يشكل الحصول على طفل فرصة للأبوين من أجل أن يرد لهم الابن أو البنت الدين، بمعاملتهم معاملة حسنة والعناية بهم كذلك، عندما يحتاجان إلى ذلك.

ملف العدد

عمالة الأطفال في الشوارع في إقليم كوردستان والعراق

أ.م.د. اراس إسماعيل خضر
أستاذ جامعي – جامعة صلاح الدين – إقليم كوردستان العراق

أضحت ظاهرة عمالة الأطفال من أكبر المشكلات التي تواجه المجتمعات الإنسانية في كثير من بلدان العالم بعامه والبلدان النامية بخاصة، إذ أصبحت تشكل مصدر قلق وتحدياً أمام الحكومات والمنظمات الأهلية والدولية التي بدأت تولي هذه المشكلة اهتماما كبيرا عبر إيجاد الحلول والمعالجات التي من شأنها الحد من هذه الظاهرة، ومع ذلك تظل هذه الجهود محدودة الأثر وغير قادرة على تحقيق الأهداف المتوخاه من وضع المعالجات اللازمة للحد من الظاهرة. ذلك أن عمالة الأطفال ليست إلا ظاهرة مرتبطة بعدد من العوامل أو الظواهر الاجتماعية والاقتصادية الأخرى كالبطالة والفقر والأمية وناتجة منهما.

إذ تعد هذه الظاهرة واحدة من تلك المشكلات التي تواجهها العراق وتمثل تحدياً كبير أمام الحكومة والمجتمع على السواء، لما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية وثقافية تترك أثرها في الاستقرار الاجتماعي، وترجع الكثير من الدراسات بروز عمالة الأطفال بوصفها ظاهرة منذ مطلع عقد التسعينات إلى أزمة الخليج الثانية، التي عاد بسببها إلى العراق أكثر من مليون مغترب عراقي إلى العراق، وإلى تأثر الاقتصاد الوطني جراء انقطاع الحوالات المالية التي كان يرسلها المغتربون، وفقدان العراق للمعونات الاقتصادية الكبيرة التي كان يتلقاها من دول الخليج بعد غزوه للكويت.

كما أدت التحولات الاقتصادية التي شهدتها العراق ولاسيما بعد تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي بدأ في العام 1995م، إلى تفاقم هذه المشكلة في المجتمع، بسبب رفع الدعم عن الأسعار، وخصخصة كثير من مؤسسات الدولة الاقتصادية، وهذا ما أدى إلى تقليص حجم العمال وإحالة كثيرين من العمال إلى عمالة فائضة، كما أن ارتفاع الأسعار وتضاؤل فرص العمل والجفاف وزيادة عدد السكان ، كل ذلك أثر بصورة مباشرة في تدني دخول الكثير من أفراد المجتمع العراقي - ولا سيّما الأرياف - في دائرة الفقر المدقع، كما أن تزايد معدلات البطالة وسوء الأحوال المعيشية قد أدّيا إلى دفع كثير من الأسر بأبنائها إلى سوق العمل واتساع هذه الظاهرة في بلادنا.

عمالة الأطفال في إقليم كوردستان .

أطلقت حكومة إقليم كوردستان واليونيسف اليوم تقريرا جديدا بعنوان مسح وتقييم نظام عدالة لأحداث في إقليم كوردستان العراق. فقد حدد التقرير الذي أجري بتمويل من الحكومة الألمانية من خلال بنك التنمية الألماني، الثغرات في السياسات العامة والتشريعات والقدرات المؤسسية التي تواجه تقديم الخدمات الصديقة للأطفال الذين لهم مساس بالقانون، ويقول ممثل اليونيسف في العراق،(رمزي، 1998، 79) بيتر هوكينز: "إن المصاعب الاقتصادية، وعدم كفاية المدارس في المناطق الريفية، ونقص وسائل النقل هي فقط بعض العوامل التي تمنع الأطفال الذين ينتمون إلى فئات محرومة من تلقي التعليم والذي يمكن أن يغير حياتهم ومجتمعاتهم، وحذر هوكينز من أنه "بدون استثمار عاجل ومستمر في مجال التعليم، فإن الأطفال من ذوي الفئات الضعيفة سيتخلفون عن الركب، وسيكون لهذا تأثير سلبي ليس على عائلاتهم فحسب، بل على المجتمع وعلى ازدهار المنطقة (عبدالوهاب ، 1982، ص 88) ". وقال وزير التخطيط في حكومة إقليم كوردستان الدكتور علي سندي: "على الرغم من التحديات الاقتصادية في العامين الماضيين، فإن البيانات تسلط الضوء على التقدم الذي أحرزته حكومة إقليم كردستان في تحسين الوصول إلى الخدمات الأساسية، بما في ذلك الخدمات الصحية والحصول على مياه الشرب المأمونة".وأضاف سندي "سيساعد هذا الاستطلاع الحكومة وشركاءها على تحديد المجالات التي تحتاج إلى استثمارات إضافية وتحديد أولوياتها". (إحسان ، (1986م، ص 25).

وفي حين أن 96 ٪ من أطفال الإقليم يذهبون إلى المدارس الإبتدائية، فإن 67 ٪ فقط يلتحقون بمرحلة التعليم الثانوي، مع معدل إنجاز أقل للأطفال الذين ينتمون إلى خلفيات أكثر فقرا في جميع أنحاء البلاد 37٪. وفي إقليم كوردستان، وحسب منظمة حماية أطفال كوردستان في مدينة السليمانية، يبلغ عدد

عمالة الأطفال في الشوارع نحو 12 ألف طفل بين (3 - 17) عاما يعملون في مختلف الأعمال، وينقسمون إلى 3 أقسام، بينهم 40 % من أطفال اللاجئين السوريين، و30 % من أطفال النازحين من وسط العراق وجنوبه، والباقي بنسبة 30 % من الداخل وأطفال الغجر.

وقد غطى هذا التقرير الذي أعدته منظمة تشايلد فرونتير إنترناشيونال، إقليم كوردستان العراق بأكمله، وهو يسلط الضوء على أبرز إنجازات حكومة إقليم كوردستان فيما يتعلق بحماية حقوق الطفل وتعزيزها، (كرافورد ، 1998، ص 23) إلا أنه لا تزال هناك بعض الثغرات، فالحد الأدنى لسن المسؤولية القانونية الجنائية (11 عاما) هو سن منخفضة نسبيا، كما يلجأ نظام عدالة الأحداث إلى الحرمان من الحرية بدلا من خدمات الرعاية البديلة وخدمات إعادة الإدماج المحدودة.(الدويبي : 1992، ص 145)

وفي هذا الصدد، قالت السيدة شيما سان غوبتا، ممثلة اليونيسف في العراق: "تلتزم اليونيسف بدعم إقليم كوردستان العراق من أجل حماية حقوق كل طفل، بما في ذلك الأطفال الذين لهم تماس مع القانون"، وأضافت قائلة: "يعد هذا المسح والتقييم الخطوة الأولى لإكمال حقوق الأشد ضعفا". (الجميلي، 1998، ص 79).

وتهدف دراسة نظام عدالة الأطفال إلى تحديد طرق لمنح حقوق الأطفال الذين لهم مساس بالقانون، وتلبية احتياجاتهم وخلق فرص لإعادة إدماجهم. (عسيري ، 2005، ص 211) كما تكفل أن يعامل كل طفل وفقا لمبادئ عدالة الأحداث، وبما يتماشى مع اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل، التي صادق عليها العراق في عام 1994. (احسان 1986، ص 34).

وقالت الدكتورة آنا يانكي، المديرة القطرية لبنك التنمية الألماني: "قبل انضمام العراق إلى اتفاقية حقوق الطفل، كان لديه نظام قضائي للأحداث متطور إلى حد ما، ويدار بموجب قانون رعاية الأحداث رقم 76 لعام 1983. (عثمان، 2000، ص 123) وبالرغم من احتواء هذا القانون على بعض المكونات الإيجابية، فإن هذه الدراسة أظهرت أنه يحتوي كذلك على العديد من الثغرات، بما في ذلك عدم توافقه بالكامل مع اتفاقية حقوق الطفل، و لا يغطي نظام عدالة الأحداث للأطفال الوقاية والاستجابة وإعادة الاندماج الاجتماعي وغياب العدالة البديلة الكافية .(إسلام 1985، ص 67).

إن حرية الأطفال إحدى أكثر الانتهاكات ضررا لحقوق الإنسان الأساسية للأطفال، لذا فنحن بحاجة إلى إعادة تصور نظام العدالة (الربيعي ، 2004، ص 125) ليعرف كل طفل حقوقه، ويمكنه المطالبة بها والحصول على المساعدة القانونية والتمثيل القانونيين مجانا، ويتمتع بالحماية من الاحتجاز، كما نحتاج إلى ضمان استخدام التحويل، وسهولة الوصول إلى الطّرق البديلة لتسوية المنازعات والمحاكم الملائمة للأطفال. (يونسيف 1997، ص 18)

وتقترح الدراسة مجموعة من التوصيات للأطفال الذين يتعاملون مع نظام العدالة، وتهدف هذه التوصيات إلى ضمان أن يواجه كل طفل على تماس بالقانون نظاما جيدا لعدالة الأحداث يدمج بين الإجراءات العرفية والرسمية، إذ تحمى حقوق الأطفال في جميع المراحل، وتلبى احتياجاتهم كما يجب. (شيخ ، 2001، ص 43).

ومن أجل حماية حقوق جميع الأطفال، دعت اليونيسف حكومة إقليم كردستان إلى الاستثمار في الخدمات التي تعود بالفائدة المباشرة على الأطفال المتأثرين بالصراع وبالفقر، والعمل من أجل وضع حد لجميع أشكال العنف ضد الأطفال(سالم ، 2006، ص 65) وليست ظاهرة جديدة أن نشهد أطفالا في أسواق المدينة وهم يتسابقون على بيع أكياس النايلون، أو علب المناديل، أو تقديم مساعدة حمل البضائع للمتبضعين، ولا ريب في أنّها ظاهرة تثير القلق في المجتمعات أمام تناميها في ظل الأزمات الاقتصادية التي تشهدها المنطقة.(اسلام ، 1985، ص 45).

وقد أكد المشرف في منظمة حماية أطفال كوردستان في السليمانية علي إبراهيم "أن منظمتنا تعنى بحماية الطفولة في إقليم كوردستان، ومنها مدينة السليمانية التي تقدم المساعدات للأطفال وذويهم، ويراقبون عن قرب ليلا ونهارا بالتعاون مع المحافظ وقائممقامية المدينة بعدم استغلالهم جسديا ونفسيا وجنسيا وهم في الشوارع، وأعلنا في عام 2019 رصدنا 250 طفلًا يعملون في أسواق السليمانية، منهم 50 % هم من وسط العراق وجنوبه، ومن اللاجئين الإيرانيين، و32 % من اللاجئين السوريين، و 17 % من الغجر، و 1 % من الداخل، وأغلبهم تتراوح أعمارهم تبين 6 و 13 عاما، و80 % منهم تركوا التعليم ." (المجلس الأعلى للتخطيط 2044، ص 122).

ويتابع إبراهيم حديثة أنّ"سبب عمالة الأطفال هو العامل الاقتصادي والعامل المادي المزري للعوائل، فتضطر أن تستغل الأطفال في العمل، لجلب النقود لها، وعدم وجود مدارس تحتضنهم قريبة من مساكنهم، رغم طلبنا من الحكومة العراقية فتح مدارس لهم، فمن حقهم التعلم حسب اتفاقية حقوق الطف."(الزبير، د.ت، ص 92).

ويشار إلى أن منظمة حماية أطفال كوردستان قد أسّستها السيدة هيرو إبراهيم أحمد عام 1991 لتقدم الدعم والحماية والخدمات لأطفال إقليم كوردستان، دون فرق عرقي أو مذهبي، وتحسين أوضاعهم المعاشية والاجتماعية أسوة بباقي أطفال العالم. (جامعة بيرزيت ، 2004، ص 32).

وبالرغم من الاهتمام بقضايا الطفولة ومشكلاتها،فإنّ فئة أطفال الشوارع يعيشون في ظروف صعبة، ويتعرضون للحرمان؛ لأن الاهتمام باحتياجاتهم لم يحصل بعد على مكان الصدارة في خطط الدولة رغم التطور الحضاري، فهم يعملون ويقيمون في الشوارع

كل الوقت أو بعضه دون رعاية من أسرهم .(الخولي 1986، ص 61) وقد أدخلت مصطلح أطفال الشوارع منظمة اليونسيف في الثمانينيات من القرن الميلادي العشرين، ويشمل الأطفال حتى عمر(18) عاما المتروكين والمنبوذين والهاربين والرحل والمتسكعين والمشردين الذين يعانون غياب رعاية الأهل ودعمهم ويعيشون بقدراتهم الذاتية (حجازي ، 1992، ص 167).

وتعدّ ظاهرة أطفال الشوارع من القضايا التي يمكن أن تعصف بخطط المجتمعات نحو التقدم، فهم موارد بشرية، وطاقات إنتاجية مهملة، يتوجب تنميتهم واستثمارهم(اليوسف ، 2003، ص 235) والعمل على اكتشاف استعداداتهم وقدراتهم الذاتية، وتوجيهها من خلال البرامج التعليمية والتدريبية والتأهيلية لإكسابهم المهارات التي تمكنهم من ممارسة حرفة ما والتكسب منها (روجرز ، 1998، ص 76)، وإكسابهم المهارات الاجتماعية اللازمة لإعادة إدماجهم في الحياة الاجتماعية، والعيش وسط المجتمع، وإعادة جمعهم مع ذويهم وأسرهم.

إنّ وجود أطفال بلا مأوى انتهاك صريح لاتفاقية حقوق الطفل التي تنص في المادة الثالثة على ما يأتي:

- جميع الإجراءات التي تتعلق بالأطفال، سواء قامت بها مؤسسات الرعاية الاجتماعية العامة أو الخاصة، أو المحاكم أو السلطات الإدارية أو الهيئات التشريعية،يولى الاعتبار الأول لمصالح الطفل الفضلى. (حجازي 1977، ص 57).
- تتعهد الدول الأطراف بأن تضمن للطفل الحماية والرعاية اللازمتين لرفاهه، مراعية حقوق والديه وواجباتهما، وحقوق أوصيائه أو غيرهم من الأفراد المسؤولين قانونا عنه، وتتخذ تحقيقا لهذا الغرض جميع التدابير التشريعية والإدارية الملائمة.(بدر 1996، ص 69).
- تضمن الدول الأطراف أن تتقيد المؤسسات والإدارات والمرافق المسؤولة عن رعاية الأطفال بالمعايير التي وضعتها السلطات المختصة، ولاسيما في مجال السلامة والصحة، وفي عدد موظفيها وصلاحياتهم للعمل، ومن ناحية كفاية الإشراف.(الامم المتحدة ، 1993، ص 95)

ومن عواقب مشكلة أطفال الشّوارع أنّه يمكن

تجنيدهم لارتكاب الجرائم؛ لأنه يمكن تخويفهم، فهم يفتقرون إلى النضج العقلي والقدرة على فهم آثار أفعالهم، وفي بعض الحالات، يجبرون على تعاطي المخدرات والمشروبات الكحولية، ويدفعهم الإرهابيّون الكبار إلى ارتكاب الجرائم الفظيعة، ويكون ذلك أحيانا ضد أسرهم ومجتمعاتهم المحلية، وبالرغم من الإقرار بالحاجة إلى شكل من أشكال المساءلة، (رمزي، 1998، ص 47)سيجري تشجيع وسائل أخرى أنجح وأنسب، بخلاف الاعتقال والمحاكمة، بما يمكن الأطفال من التصالح مع ماضيهم والأعمال التي ارتكبوها، ويوصي ببدائل تراعي أفضل مصلحة لهم، مع تشجيع إعادة تأهيلهم وإدماجهم في المجتمع.

إن جميع الأطفال الذين يمرون بمشكلات أو الذين لا يمرون بها هم في حاجة ماسة إلى الاهتمام والرعاية والتوجيه في جميع مراحل نموهم والتعامل معهم برفق، من أجل تنميتهم تنمية سليمة بعيدة كل البعد عن وسائل الانحراف. (رشوان ، د.ت، ص 198) فأطفال الشوارع في الوقت الحالي يشكّلون مشكلة من المشكلات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي تؤثر في المجتمع، ولكنّ خطورة هذه المشكلة ترجع في تعدد الجوانب والمحاور المرتبطة بها، وفي السلوكيات التي يمارسها أطفال الشوارع، وما يترتب عليها من تداعيات داخل المجتمع الذي يعيشون فيه.

ومن أهم الأساليب التربوية داخل الأسرة التي يمكن بها الحد من ظاهرة أطفال الشوارع ما يأتي(خفاجي، 1977، ص 45).

- توعية الشباب المقبلين على الزواج بحقوق الزوج والزوجة وحقوق الأطفال وكيفية رعايتهم.
- الاعتدال في تلبية مطالب الأطفال والشباب؛ حتى لا يشبوا على الأنانية والمطالبة بحقوقهم دون القيام بالواجبات المطلوبة منهم.
- استخدام أسلوب الثواب والعقاب بحكمة وتدرج، وعدم استخدام العقوبات المادية كالضرب المؤلم للاطفال، إلا بعد استنفاد كل السبل، وعدم المبالغة في العقوبة، وإقناع الأطفال.
- تنشيط القدوة الحسنة داخل الأسرة قولا وعملا في شتى المواقف، مع استخدام الأساليب التربوية التي أشارت إليها التربية الإسلامية مثل: التربية بالقدوة ، والتربية بالموعظة، والتربية بالعقوبة، والتربية بالقصة، وملء الفراغ وحسن الانتفاع به، والتربية بتوظيف الأحداث اليومية في حياة الأسر.

أما سبل مواجهة ظاهرة أطفال الشوارع، فهناك ثلاثة مداخل في هذا السبيل، هي :

المدخل الإصلاحي وإعادة التأهيل : ويتكامل هذا المدخل مع المدخل التنموي، إذ ينظر إلى أطفال الشوارع بوصفهم ضحايا لظروف اجتماعية وأسرية سيئة بحاجة إلى الرعاية والدعم النفسي والتربوي والاجتماعي والاقتصادي، وإعادة التأهيل من خلال طرق تدخل على مستوى الطفل ذاته وعائلته والمجتمع، ويشمل هذا المدخل جانبين من السياسات والإجراءات الوقائية والعلاجية:-

أولا : الجانب الوقائي : يعني اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لسد منابع ظاهرة أطفال الشوارع، عن طريق (البرنامج الدولي للقضاء ايبك 2000، ص 36) ويتّخذ فيه ما يأتي:

أ-العمل على تحسين مستوى المعيشة ومحاربة الفقر والبطالة، وتوفير المساندة والدعم اللازمين لأبناء الأسر الفقيرة الذين يعيشون ظروفا سيئة تعرقل نموهم السوي.

ب- تطوير المناطق العشوائية وإعادة تخطيطها بما يضمن توفير البنية الأساسية والمرافق اللازمة.

ج-التوسع في برامج الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة وغيرها، من برامج التوعية والتثقيف الموجهة إلى الأسرة، والتي تركز على رفع كفاية الوالدين، وتحسين الأداء الأسري في رعاية الأطفال وتربيتهم.

د-نشر التعليم، والحيلولة دون تسرب الأطفال من المدارس، بتنشيط اتفاقية حقوق الطفل، كون العراق من الدول المصادقة على هذه الاتفاقية .

السؤال الأول: هل تنتشر عمالة الأطفال في جميع الفئات العمرية للطفولة؟

أثبتت نتائج الدراسة الميدانية تركز عمالة الأطفال في الفئات العمرية الكبرى، إذ شكلت الفئة العمرية 12 - 14 سنة 80.5 % من إجمالي النسب المئوية للأعمار كافةً، كما وجد أن متوسط أعمار الأطفال العاملين هو 12سنة و 4 أشهر.

وللتوصل إلى دلالات إحصائية عن أكثر الأعمار انغماسًا في عمالة الأطفال، استخدمت الباحثة مربع كاي (χ^2) الذي بلغت قيمته المحسوبة 103.9 عند مستوى دلالة 0.05، وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية لمربع كاي (5.99)، وتشير مثل هذه النتيجة إلى أن ليس لكل الأعمار الأهمية نفسها في تفشي عمالة الأطفال، وأن الفئة العمرية الكبرى هي أكثر الأعمار تفشياً في ظاهرة عمالة الأطفال.

السؤال الثاني: هل تفوق نسبة العاملين من الأطفال الذكور نسبة العاملات من الأطفال الإناث في أربيل؟

أثبتت نتائج الدراسة الميدانية تفوق نسبة العاملين من الأطفال الذكور بنسبة (96.5%) على نسبة العاملات من الأطفال الإناث بنسبة (3.5 %)، وللتحقّق من الدلالات الإحصائية للفروق بين النسب المئوية لعمالة الجنسين، استخدمت الباحثة مربع كأي (χ^2) الذي بلغت قيمته المحسوبة 84.6 عند مستوى دلالة 0.05، وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية لمربع كأي (3.48)، وتشير مثل هذه النتيجة إلى ارتفاع نسبة العاملين من الأطفال الذكور على نسبة العاملات من الأطفال الإناث.

السؤال الثالث: هل ينحدر الأطفال العاملون من أصول ريفية مهاجرة إلى أربيل؟

أثبتت نتائج الدراسة الميدانية انحدار الأطفال العاملين من أصول ريفية مهاجرة إلى المدينة، إذ اتضح أن (84 %) من هؤلاء الأطفال ولِدوا في الريف مقابل (16 %) ولِدوا

في الحضر، وفيما إذا كان الأطفال العاملون مهاجرين من الريف إلى مدينة أربيل، اتضح وجود نسبة كبيرة من الأطفال المهاجرين من الريف إلى مدينة أربيل وصلت إلى (51.5 %).

السؤال الرابع: هل هناك علاقة بين التسرب من التعليم وعمالة الأطفال؟

أثبتت نتائج الدراسة الميدانية وجود علاقة قوية بن التسرب من التعليم وعمالة الأطفال، فقد أكد (21 %) أنهم ملتحقون بالتعليم، وأنّ (9.5 %) هم غير ملتحقين بالتعليم، في حين أن أغلب المبحوثين بنسبة (69.5 %) متسربون من التعليم.

وللتحقّق من وجود علاقة بين تسرب الأطفال من التعليم وعمالة الأطفال، استخدمت الباحثة الإحصائي مربع كأي الذي بلغت قيمته المحسوبة 59.6، وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية لمربع كأي (5.99)، وهذه النتيجة تؤكد وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين التسرب من التعليم وعمالة الأطفال .

السؤال الخامس: ما الحالة الاجتماعية لأسر الأطفال العاملين؟

لدى تحليل البيانات الخاصة بالوضع الاجتماعي لأسر الأطفال العاملين، ظهر ما يأتي:

1. اتضح أن معظم أفراد العينة ينتمون إلى أسر متماسكة اجتماعيا، بخلاف ما ذهبت إليه بعض الدراسات السابقة التي تشير إلى علاقة عمالة الأطفال بالتفكك الأسري، ويتضح ذلك فيما يأتي: المجلس الأعلى للأمومة والطفولة (2003) قانون حقوق الطفل في العراق.

2. تبين أن (96 %) من الأطفال العاملين والدوهم على قيد الحياة، و(4 %) من هؤلاء الأطفال توفى عنهم الوالدان. وعند استخدام مربع كأي للتحقّق من وجود العلاقة بين عمالة الأطفال وكون (الوالدين متوفين أو غير متوفين)، تبين أن قيمة مربع كاي المحسوبة هي 81.02 عند مستوى دلالة 0.05، وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية (3.48)، وتشير مثل هذه النتيجة إلى وجود عمالة الأطفال، حتى من آباؤهم أحياء، أو أنه لا توجد علاقة قوية بين وفاة الوالدين وعمالة الأطفال. (وزارة الشؤون القانونية (2003) دستور الجمهورية العراقية).

3. تبين أن (11.5 %) من الأطفال العاملين الأبوان لايقيمان معا، وأنّ (88.5 %) من الأطفال العاملين يقيم آباؤهم معا. وعند استخدام مربع كاي للتحقّق من وجود العلاقة بين عمالة الأطفال وكون (الوالدين يقيمان معا أو لا يقيمان معا) تبين أن قيمة مربع كاي المحسوبة هي 57.76 عند مستوى دلالة 0.05، وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية (3.48)، وتشير هذه النتيجة إلى وجود عمالة الأطفال حتى في حالة الأطفال الذين يقيم آباؤهم معا، أو أنه لا توجد علاقة قوية بين عدم إقامة الوالدين معا وعمالة الأطفال. (وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل 2007، ص 23).

3. اتضح أن (96.5 %) من أفراد العينة آباؤهم مكتفون بزوج واحدة، وأنّ (3.5 %) آباؤهم لهم أكثر من زوج، وعند استخدام مربع كأي للتحقّق من وجود العلاقة بين عمالة الأطفال وكون الآباء (مكتفين بزوج واحدة أو متزوجين بأكثر من زوج) تبين أن قيمة مربع كاي المحسوبة هي 81.02 عند مستوى دلالة 0.05، وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية (3.48)، وتشير هذه النتيجة وجود عمالة الأطفال حتى في حالة الأطفال المكتفين آباؤهم بزوج واحدة، أو أنه لا توجد علاقة قوية بين التعددية في زواج الآباء وعمالة الأطفال.

السؤال السادس: هل بين حجم الأسرة وعمالة الأطفال علاقة؟

أثبتت نتائج الدراسة الميدانية وجود علاقة بين حجم الأسرة وعمالة الأطفال، إذ أكد (92.5 %) من الأطفال العاملين أن أسرهم يتراوح عددها بين 5 أفراد و10، في حين تنتمي (4.5 %) من الأطفال العاملين إلى أسر يتراوح عددها بين 11 فردًا و 13. وللتحقّق من العلاقة بين عدد أفراد الأسرة وعمالة الأطفال، استخدمت الباحثة الإحصائي مربع كأي الذي بلغت قيمته المحسوبة (104.2) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05، وتشير هذه النتيجة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم الأسرة وعمالة الأطفال. (منظمة العمل الدولية 2006، ص 34).

السؤال السابع: هل بين المستوى التعليمي للوالدين وعمالة الأطفال علاقة؟

أثبتت نتائج الدراسة الميدانية وجود علاقة بين المستوى التعليمي للوالدين وعمالة الأطفال، وهذا يبين ما يأتي:

1. تدني المستوى التعليمي لآباء الأطفال العاملين، فقد تبين أن (53.5 %) أميون، و36.5 % يجيدون القراءة والكتابة، ولكنهم لا يحملون أي شهادة تعليمية، و(7 %) من حملة الشهادة الإعدادية، و(3 %) يحملون الثّانويّة. وقد أسفرت نتائج الفحص الإحصائي لدى استخدام مربع كأي الذي بلغت قيمته المحسوبة (63.42) وقيمته الجدولية (7.81) عن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين تدني المستوى التعليمي للآباء وعمالة الأطفال.

2. تدني المستوى التعليمي لأمهات الأطفال العاملين، فقد تبين أن (92 %) من أمهات الأطفال العاملين أميات، و(4.5 %) يجدن القراءة والكتابة، ولكنهن لا يحملن أي شهادة تعليمية، و(3.5 %) يحملن الشهادة الابتدائية. وقد أسفرت نتائج الاختبار لدى استخدام مربع كأي الذي بلغت قيمته المحسوبة (152) وقيمته الجدولية (5.99) عن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين تدني المستوى التعليمي للأمهات وعمالة الأطفال (منظمة العمل الدولية 2005، ص 34).

السؤال الثامن: هل بين الوضع الاقتصادي للأسرة وخروج الأطفال للعمل في سن مبكرة أيّ علاقة؟

أثبت نتائج الدراسة الميدانية وجود علاقة ارتباط بين الوضع الاقتصادي للأسرة وخروج الأطفال للعمل في سن مبكرة، ويتأكد ذلك على النحو الآتي:

1. فيما يخص العلاقة بين الوضع المهني للآباء وخروج الأطفال للعمل:

تبين أن (89.5 %) من آباء الأطفال العاملين يعملون، وأن المهن التي يعملون بها هي المهن المتدنية اجتماعيا التي يشملها القطاع الخاص غير المنظم، وأنّ (10.5 %) من دون عمل.

2. فيما يخص العلاقة بين الدخل الشهري للأسرة وخروج الأطفال للعمل:

تبين أن (92.5 %) تعيش أسرهم على دخل شهري يتراوح بين 10 ريال و19 ألف ريال، أمّا الأسر التي يتراوح دخلها الشهري بين 20 ألف ريال و29 ألف ريال، فبلغت نسبتها (7.5 %). وعند احتساب متوسط الدخل الشهري للأسر، وجد أنه 15.45 ريالا عراقيا. وبتطبيق اختبار كأي، وجد أن القيمة المحسوبة (73.52) هي أكبر من القيمة الجندولية

لمربع كأي (7.81)، وتشير هذه النتيجة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدخل الشهري للأسرة وعمالة الأطفال.

2. فيما يخص أوضاع المسكن: تبين من الجداول (20، 21، 22،23) أن غالبية أفراد العينة تسكن في مساكن شعبية، ويلي ذلك الصناديق والعشش، مع قلة عدد الغرف، مقابل زيادة عدد أفراد الأسرة، ونقص في توافر الخدمات الأساسية لمساكن بعض الأطفال العاملين.

السؤال التّاسع: ما ظروف العمل التي يعمل فيها الأطفال في مدينة أربيل؟

بينت نتائج الدراسة الميدانية أن الأطفال يعملون في ظل ظروف وشروط عمل قاسية، لاتتناسب مع مرحلتهم العمرية، وتتعارض مع حقوقهم، ويتأكد ذلك على النحو الآتي:

1. صاحب القرار في خروج الطفل إلى العمل:

استخدمت الباحثة الإحصائي مربع كأي للتوصل إلى أكثر الجهات أهمية في اتخاذ القرار بحق الطفل في الالتحاق بالعمل، وقد تبين أن الأسرة هي أكثر الجهات أهمية في اتخاذ القرار بالتحاق الطفل بالعمل، إذ بلغت قيمة الإحصائي (110) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05.

2، نوع الأعمال التي يمارسها الأطفال:

تبين أن (56.5 %) من الأطفال العاملين يمارسون أعمالا خطرة وهي على التوالي: مساعد صياد، أعمال زراعية، سمكري سيارات، حمال أكياس الأسمنت، ويليهم (43.5 %) يمارسون أعمالا أقل خطورة، لكنها مع ذلك تبقى غير مناسبة لعمر الطفل، لما فيها من تنقل دائم، وتعرض لحرارة الشمس المرتفعة التي يتميز بها مناخ مدينة أربيل، وما تسببه تلك الحرارة من أمراض الجلد والعيون.

3. الصلة بين الطفل العامل وصاحب العمل:

استخدمت الباحثة الإحصائي مربع كأي للتحقّق من وجود علاقة بين صاحب العمل والطفل العامل، وأي العلاقات لها الأثر الأكبر في التحاق الطفل بالعمل، وقد وجدت أن بين الطفل العامل وصاحب العمل علاقةً، إذ بلغت قيمة الإحصائي (35.7) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05، كما تبين أن أكثر الأطفال يعملون لدى أشخاص تربطهم صلة صداقة بأسرهم.

4. أسباب العمل:

بينت نتائج الدراسة الميدانية تعدد استجابات المبحوثين فيما يخص الأسباب التي دفعتهم للخروج إلى العمل، وعند استخدام مربع كأي للتحقّق من أكثر الأسباب أهمية في خروج الأطفال إلى العمل(أبوتيج 2006، ص 231) أوضحت نتائج التحليل الإحصائي أن أكثر الأسباب أهمية في خروج الأطفال إلى العمل هو تحسين المستوى المعيش للأسرة، إذ بلغت القيمة المحسوبة (98.17) وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05.

5. قيمة الأجر الذي يحصل عليه الطفل:

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن (16 %) من المبحوثين الذين يتقاضون أجرا مقابل عملهم يتقاضون أجرا (أقل من 5000 ريال شهري) وأنّ (47 %) يتقاضون أجرا يتراوح بين 5000 ريال شهريًّا و9000 ريال شهريًّا، وهو مبلغ ضئيل جدا لا يشكل نصف الحد الأدنى للراتب الشهري الذي لا يقل عن عشرين ألف ريال، والذي يتقاضاه العامل الراشد، وهذا مؤشر على مدى استغلال الأطفال العاملين في الأجور، وحرمانهم الحقوقَ التي يوفرها صاحب العمل للعمال البالغين.

6. التصرف بالأجر:

أثبتت نتائج الدارسة الميدانية أن 63.5 % يعملون مقابل أجر، وأن 52.5% منهم تذهب أجورهم كليا أو جزئيا للأسرة.

7. معدل ساعات العمل للطفل في اليوم الواحد:

تبين أن معدل ساعات العمل للطفل في اليوم الواحد قد بلغت قيمته (36 : 8) أي ثماني ساعات ونصف، وهو معدل عال لايتناسب مع عمر الطفل وحاجته الدائمة للراحة، ويخالف المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية.

8. العمل في ساعات الليل:

تبين أن (44 %) من الأطفال يعملون في ساعات الليل، وهذا أيضا لا يتناسب مع عمر الطفل، ويخالف المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية.

10. العمل في أيام العطل الأسبوعية:

تبين أن (70.5 %) من الأطفال يعملون دائما في أيام العطل الأسبوعية، وأنّ (21.5 %) يعملون أحيانا، ويشكل الأطفال الذين لا يعملون في أيام العطل نسبة (8 %) من الإجمالي، وهذا يخالف المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية.

السؤال العاشر: ما المخاطر الصحية – النفسية التي يواجهها الأطفال في العمل؟

بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هناك مخاطر صحية عديدة يواجهها الأطفال في العمل، إضافة إلى تعرض بعضهم للإساءة الجسدية والنفسية، ويظهر هذا فيما يأتي:

1. صعوبات العمل:

بينت نتائج الدراسة الميدانية أن (93%) يعانون الإرهاق في عملهم.، وللتوصل إلى دلالات عن علاقة صعوبات العمل بصحة الأطفال العاملين، استخدمت الباحثة الإحصائي مربع كأي الذي بلغت قيمته المحسوبة 54.57، وهي أكبر من قيمته الجدولية (5.99) وتشير هذه النتيجة إلى أن بين العمل المرهق الذي يقوم به الأطفال والضرر بصحتهم علاقة.

2. المخاطر التي يواجها الأطفال العاملون في أثناء قيامهم بالعمل:

بينت نتائج الدراسة الميدانية أن (49 %) يواجهون مخاطر في أثناء تأديتهم العمل، ولدى استخدام الإحصائي مربع كأي للتحقّق من أكثر أنواع المخاطر التي يتعرض لها الأطفال العاملون والتي قد تضر بصحتهم، وجد أن القيمة المحسوبة للإحصائي (94.56) كبيرة موازنة بقيمته الجدولية (5.99). وتشير هذه النتيجة إلى وجود علاقة بين المخاطر التي يتعرض لها الأطفال والضرر بصحتهم.

3. مصادر الخطر التي يتعرض لها الأطفال العاملون في أثناء قيامهم بالعمل:

بينت نتائج الدراسة الميدانية تعدد مصادر الخطر التي يتعرض لها المبحوثين في أثناء قيامهم بالعمل،

لتصل إلى ثمانية مصادر. وللتحقّق من أكثر مصادر الخطر ضرراً على صحة الأطفال العاملين، أسفرت نتائج استخدام الإحصائي مربع كأي عن وجود فروق بين مصادر الخطر، إذ كان التعرض للحر الشديد من أكثر مصادر الخطر ضرراً على صحة الأطفال العاملين، وقد بلغت القيمة المحسوبة للإحصائي مربع كأي (115) وهي دالة عند مستوى دلالة 0.05.

4. تأثير وضع العمل في صحة الأطفال العاملين:

للتوصل لدلالات عن أكثر الأوضاع ضرراً على صحة الأطفال العاملين، أسفرت نتائج استخدام الإحصائي مربع كأي عن وجود فروق في وضع الطفل في العمل، إذ كان التنقل من مكان لآخر أكثر الأوضاع ضررا على صحة الأطفال العاملين، من ناحية احتمال تعرضهم للأذى في الأماكن التي يرتادها هؤلاء الأطفال، وقد بلغت القيمة المحسوبة للإحصائي مربع كأي (64.7) وهي دالة عند مستوى دلالة 0.05.

5. التعرض للإصابات أو الحوادث في أثناء ممارسة العمل:

تبين أن 48 % من أفراد العينة تعرضوا للإصابات والحوادث في أثناء ممارسة العمل.

6. تعرض الأطفال العاملين للإساءة في العمل:

بينت نتائج الدراسة الميدانية تعرض(22.5%) من أفراد العينة للإساءة في العمل، ولدى استخدام الإحصائي مربع كأي للتحقّق من أكثر أنواع الإساءات التي يتعرض لها الأطفال، وجد أن القيمة المحسوبة للإحصائي (32.12) كبيرة، موازنة بقيمته الجدولية (5.99). وتشير هذه النتيجة إلى وجود علاقة بين الإساءة التي يتعرض لها الأطفال والضرر الجسماني والنفسي الذي يلحق بهم نتيجة للتعرض للضرب والشتم.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يأتي:

1. في ضوء نتائج الدراسة الميدانية، فإن أكثر الفئات العمرية عرضة للعمل هم الأطفال الأكبر عمراً الذين تنحصر أعمارهم بين 12 سنة و 14، لذا يجب الاهتمام بالأطفال الأكبر سنا، وبربط التعليم بالواقع، بإكساب الأطفال بعض المهارات التى تفيدهم فى حياتهم المستقبلية.

2. إدخال نصوص جديدة على قانون التعليم الأساسي تنصّ على تخصيص مكأفاة مالية لكل سنة دراسية يكملها الطفل ابتداء من الصف الثالث الابتدائي حتّى الصف التاسع الأساسي، وتضاعف المكأفاة لمن أكملوا الصف التاسع الأساسي.

3. ضرورة متابعة الأطفال المتسربين من التعليم وإعادتهم إلى صفوف الدراسة، ويجب مراقبة الأطفال المهاجرين من الريف إلى المدينة. ولا سيّما الأطفال الذين يهاجرون وحدهم أو مع شخص غريب عنهم، وفتح ملف لكل طفل من هؤلاء الأطفال تمهيدا لإعادتهم إلى أسرهم.

4. إدخال نصوص جديدة على قانون الرعاية الاجتماعية تنصّ على أن تكون مشاريع الأسرة خالية من تشغيل الأطفال، وتحرم الأسر استلام المساعدة المالية، إذا تبين أنها تستفيد من تشغيل أطفالها.

5. توفير البني التحتية والخدمات الأساسية للإطار السكني.

6. يجب تنظيم حملات للتوعية العامة بهدف زيادة الوعي بشأن ظاهرة عمالة الأطفال وأثرها السلبي في الأطفال والمجتمع.

7. توعية الأسرة بالصحة الإنجابية وتحديد النسل، بما

له من أهمية في تربية الأطفال والقدرة على تعليمهم.

8. فيما يخص الأطفال الذين يعملون ساعات طويلة، وفي الليل، وفي المهن الخطرة، ويتعاملون فيها مع الآلات والمعدات الخطرة، ويتعرضون للمواد السامة، فإنه يجب إبعادهم نهائيا عن مثل تلك المهن والأعمال، وتشديد عقوبات صارمة على صاحب العمل الذي يقبل بتشغيلهم عنده.

9. يجب على المجالس المحلية فتح مكاتب لتلقي الشكاوى عن عمالة الأطفال وإحالتها إلى وزارة العمل، كما يجب عليها العمل مع أصحاب الأعمال لإقناعهم باستبدال العمّال البالغين بعمالة الأطفال.

10. يجب على المجالس المحلية الاهتمام بالسياسات والأساليب التى تهتم بزيادة التمويل المرتبط بتأهيل الأطفال العاملين.

11. من المهم مشاركة المجالس المحلية في الإعداد لبرامج التدخل وفي تنفيذها ومتابعتها.

12. يجب تفعيل قانون العمل ليتحول إلى واقع يحمي الأطفال من العمل وفي أماكن العمل.

13. يجب العمل على دمج برامج عمالة الأطفال في الخطة الوطنية للتنمية والإستراتيجية الوطنية لتخفيف حدة الفقر.

14. يجب السماح للأطفال العاملين للمشاركة في إيجاد حلول للحد من خروجهم للعمل في سن مبكرة .

15. توفير قاعد بيانات عن الأطفال العاملين ومواقع تركزهم وانتشارهم وتحركاتهم إلى المناطق الجاذبة، لتساعد على وضع الخطط وتنفيذ البرامج والمشروعات، وتحديث تلك القاعدة دومًا.

المراجع والمصادر

قائمة المراجع :

1. اتفاقية حقوق الطفل (1997) اليونيسيف.

2. إحسان، محمد الحسن (1986م) الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي، ط2، دار الطليعة، بيروت – لبنان.

3. إسلام، علي محمد (1985) علم الاجتماع الصناعي – دار المعارف – الطبعة الثانية.

4. الأمم المتحدة (1993) حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك.

5. بدر، أحمد (1996) أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

6. البرنامج الدولي للقضاء على عمل الأطفال (أيبك) (2000) عمل الأطفال في مزارع التبغ في لبنان، منظمة العمل الدولية، جنيف.

7. جامعة بيرزيت - برنامج دراسات التنمية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة- يونيسف (2004) الأطفال الفلسطينيون في سوق العمل (دراسة نوعية بالمشاركة) الطبعة الأولى.

8. الجميلي، خيري (1998) نظريات خدمة الفرد(دون دار نشر).

9. حجازي، مصطفى (1992) التخلف الاجتماعي " سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي – بيروت.

10. خفاجي، حسن (1977) دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مطبعة المدينة.

11. الخولي، سناء (1986) الأسرة والحياة العائلية، دار المعارف، الإسكندرية.

12. الدويبي، عبد السلام (1992) حقوق الطفل ورعايته، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية، ليبيا.

13. رشوان، عبد الرحيم (من دون تاريخ) مراجعة أحمد زكي، تقرير مكتب العمل الدولي، تشغيل الأطفال والتعليم الإلزامي، مكتبة الأنجلو المصرية.

14. رمزي، ناهد (1998) ظاهرة عمالة الأطفال في الدول العربية، نحو إستراتيجية عربية لمواجهة الظاهرة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، المجلد الأول.

15. روجرز، جيري و ستاتدنغ، جاي (1998)، تشغيل الأطفال والتخلف والفقر، مكتب العمل الدولي " جنيف " ترجمة خالد أسعد عيسى، وزارة الثقافة، دمشق، دراسات اجتماعية «36».

16. الزبير، نبيلة، دراسة تقييم سريع لعمل الفتيات في ثلاث محافظات العراقية «عمالة الشوارع، الزراعة، الإمتاع الجنسي - للتكسب».

17. سالم، أحمد، صلاح (2006م) الهجرة الداخلية إلى أربيل، دار جامعة أربيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

18. شيخ، خالد راجح (2001) عمل الأطفال في العراق، الاتحاد العام لنقابات عمال العراق، وحدة مكافحة عمل الأطفال ومنظمة العمل الدولية.

19. عبد الوهاب، بوحديه (1982) تقرير عن «اسنغلال عمل الأطفال»، مقدم للجنة الفرعية لمنع التميز وحماية الأقليات، الأمم المتحدة.

20. عبيدات، ذوقان وعدس، عبد الرحمن (بدون تاريخ) البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.

21. عثمان، عبده علي (2000) الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأطفال الشوارع في مدينة صنعاء، دراسة مقدمة لمنظمة اليونيسف، صنعاء.

22. عسيري، عبد الرحمن بن محمد (2005) تشغيل الأطفال والانحراف، الطبعة الأولى، جامعة نائف للعلوم الأمنية، الرياض.

23. كراوفورد ، شينا (1998) الأطفال العاملون في العراق نظرة عن قرب، المواضيع والخطوات الآتية، المنظمة السويدية لرعاية الطفولة، صنعاء.

24. المجلس الأعلى لتخطيط التعليم (2004)، مؤشرات التعليم في الجمهورية العراقية للعام 2002/ 2003م، الأمانة العامة.

التقارير وأوراق العمل :

1. أبوتيج ، ميرفت أحمد (2006) مجموعة القوانين المصرية والمواثيق الدولية المنظمة لعمل الأطفال، ورقة عمل مقدمة لورشة مركز الأرض المنعقدة بفندق حور محب 1 /7 /2006، إصدار مركز الأرض لحقوق الإنسان، القاهرة .

2. منظمة العمل الدولية (2005) تقرير " مستقبل خال من عمل الأطفال "، جينيف.

3. منظمة العمل الدولية (2006) تقرير "وضع حد لعمل الأطفال هدف في المتناول" جينيف.

الرسائل الجامعية :

1. الربيعي، فضل عبد الله، الهجرة والتغير الاجتماعي في بناء وظائف الأسرة العراقية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع غير منشورة، جامعة بغداد 2004م.

1. اليوسف، عبد العزيز(2003) الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للأطفال الباعة والمتسولين، العدد 29 من مجلة «البحوث الأمنية» الصادرة عن مركز البحوث والدراسات في كلية الملك فهد الأمنية، 2003م.

القوانين:

1. المجلس الأعلى للأمومة والطفولة (2003) قانون حقوق الطفل العراقي.

2. وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل - وحدة مكافحة عمالة الأطفال (2007)، لائحة تحديد الأعمال المحظورة على الأطفال العاملين ممن هم أقل من 14 سنة.

3. وزارة الشؤون القانونية(2003) دستور الجمهورية العراقية.

4. وزارة الشؤون القانونية (2003) قانون العمل العراقي رقم (5) لعام 1995م المعدل.

ملف العدد

كيف يقضي الطفل المصري وقت الفراغ ؟
رحلة الانتقال من العالم التناظري إلى العالم الرقمي

د. أحمد موسى بدوي
باحث سوسيولوجي ـ مصر

في ديسمبر 1984، أقر مؤتمر وزارة الشؤون الاجتماعية العرب ميثاق حقوق الطفل العربي، الذي عدّ تنمية الطفولة ورعايتها وصون حقوقها جوهر التنمية الشاملة. وعلى هدي هذا الميثاق، أقرت البلدان العربية منفردة مواثيق وقوانين ولوائح تودع بها قرنًا وتستقبل بها ألفية جديدة.

وقد أقر الميثاق، وحض الدول الأعضاء على الاهتمام بشغل وقت فراغ الطفل في الأنشطة والمنافسات الثقافية والفنية والرياضية، وإنتاج المحتوى الموجه للأطفال عبر الوسائط المقروءة والمسموعة والمرئية.

ومضت أربعة عقود على توقيع الميثاق، وهذا ما يدفع المثقف العربي نحو النظر لما تحقق بنظرة تاريخية تتبعية، تستوعب التجربة وتمهد لاستقبال واقع جديد تنتقل فيه العوالم الاجتماعية من الحالة التناظرية Analog state إلى الحالة الرقمية Digital state، وفيها تحولات مليئة بالفرص والتحديات والمخاطر، إذ يحتاج الطفل في قلب هذه التحولات إلى أنماط جديدة من الرعاية المتكاملة، وهذا المقال يحاول تتبع تجربة رعاية الطفل العربي، بالتركيز على الحالة المصرية، وعلى موضوع قضاء وقت الفراغ.

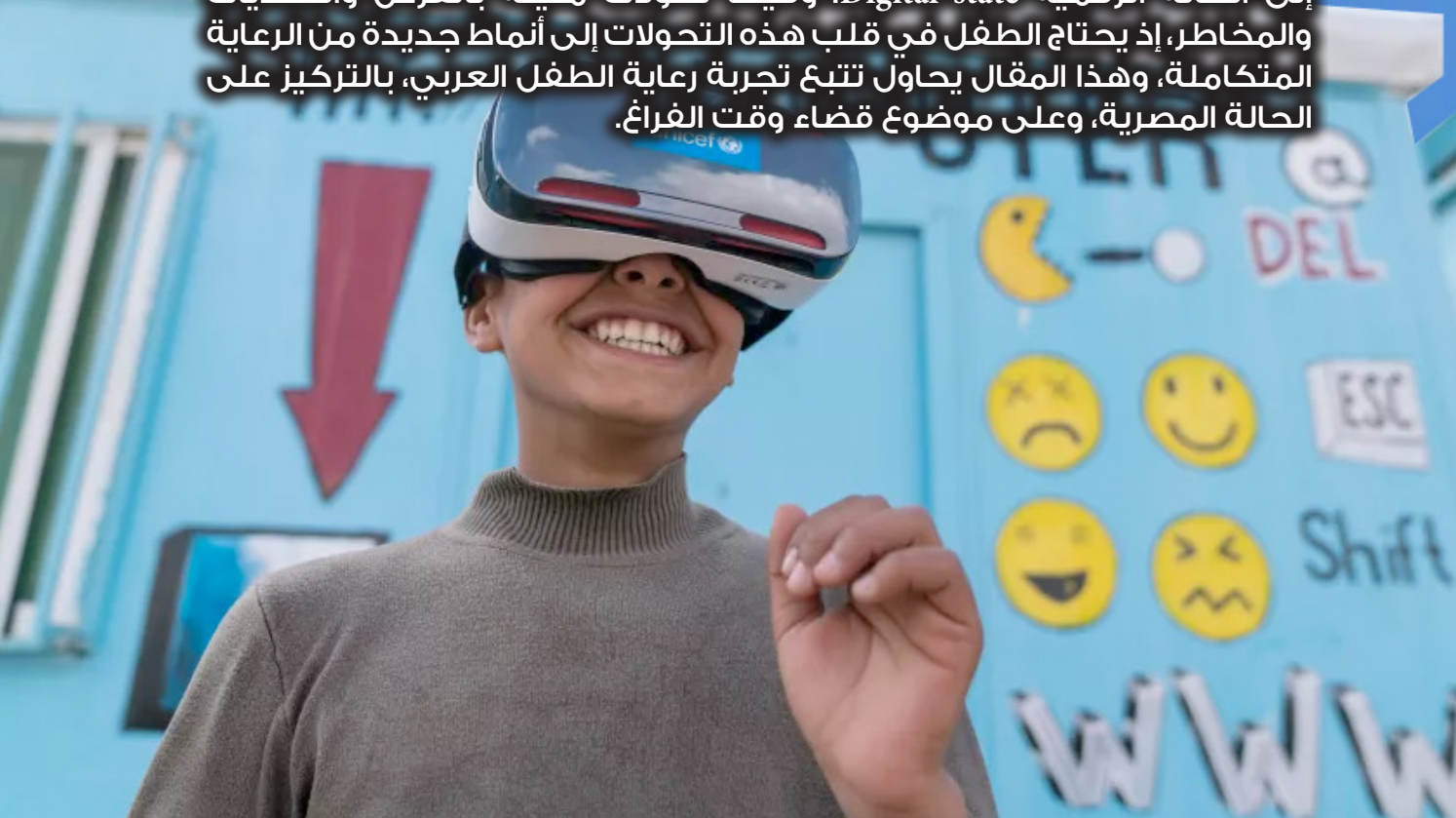

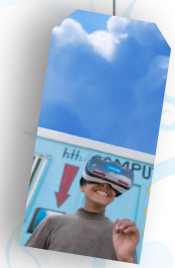

الإشكال النظري والمنهجي:

يعتمد المقال على المنهج الإثنوغرافي الذاتي Auto ethnographical Method الذي يتيح وصف التجربة الذاتية للباحث وتحليلها وعرضها في الوعي بأبعاد التحولات الثقافية أو الاجتماعية التي تتم في سياق اجتماعي محدد(1).

كما أن تتبع عملية التحول في قضاء الطفل لوقت الفراغ تتبعا عابرا للزمان والمكان، يصعب استدراكه واقعيا، إلا من خلال الوصف الإثنوغرافي الذاتي، الذي يسمح للباحث باستحضار التجربة التاريخية والعابرة للمكان في آن واحد، شرط أن يكون هذا الوصف مستهدفا إنتاج معرفة علمية، وليس سردا أدبيا أو تفكيرا استنباطيا يغلب عليه الطابع الفلسفي.

وعليه، فإن الوصف الإثنوغرافي الذاتي يعد طريقة ناشئة من طرق الكتابة العلمية، وإذا استغلت، فإنها تسمح بكشف جوانب غامضة في الحياة الاجتماعية(2).

ويغطي الوصف الإثنوغرافي متصلا زمنيا ينقسم إلى أربع أحقاب متنوعة: **الأولى: جيل أكس (Generation X)** وهم مواليد منتصف الستين إلى منتصف الثمانين، وهو الجيل الذي عاش طفولته بالكامل في ظل العالم الاجتماعي التناظري. **الثانية:** ما يسميه كاتب المقال **جيل مكس (Generation Mix)** وهم مواليد ما بعد منتصف الثمانين حتى منتصف التسعين، وهو الجيل الذي عاش طفولته المبكرة في ظل العالم التناظري، وطفولته المتأخرة في بداية التحول نحو العالم الرقمي. **الثالثة: جيل زد(Generation Z)** وهم مواليد منتصف التسعين حتى نهاية العقد الأول من الألفية الجديدة، وهو الجيل الذي عاش طفولته المبكرة في بداية التحول الرقمي، وطفولته المتأخرة في خضم التحولات الرقمية فائقة الذكاء. **الرابعة** والأخيرة **جيل ألفا (Generation Alpha)** وهم مواليد ما بعد 2010 الذي يعيش طفولته كلها في ظل التحولات الرقمية فائقة الذكاء.

كما يغطي الوصف الإثنوغرافي عائلة واحدة ممتدة تعيش في ثلاث مناطق حضرية وريفية: إذ يعيش كاتب المقال وعائلته النووية في قرية تقع بجوار مدينة بنها في جنوب الدلتا، وتسكن عائلته الممتدة في القاهرة والمحلة الكبرى، وهناك اختلافات في مستوى التعليم ونوعه، والوضع الطبقي بين المصادر الثلاثة، وسيرد ذكرها عند التحليل.

ويعتمد المقال على نظرية القواعد المتصارعة (3) للاسترشاد بها في إدراك التحولات من الحالة الاجتماعية التناظرية إلى الحالة الرقمية، وفهم المادة الإثنوغرافية المتعلقة بقضاء الطفل المصري لوقت الفراغ في ظل تلك التحولات، إذ تذهب النظرية إلى وجود قواعد بنائية منظمة للسلوك، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع كبرى، هي: القواعد **الحيوية**، والقواعد **الفكرية-الثقافية**، والقواعد **الروحية**.

ولكل قاعدة بنائية طريقة لبلورتها في العقل الجمعي، من خلال التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، وفي مؤسسات التربية والرعاية، كما يوجد نظام للجزاء المجتمعي (مكافأة أو عقاب) يدفع أفراد المجتمع إلى التزام هذه القواعد.

ويركز المقال على القواعد الفكرية- الثقافية، وتعرّف وفق النظرية بأنها القواعد التي يستخدم فيها الإنسان ملكاته العقلية ومهاراته البدنية في إدارة حياته والاستمتاع بها على نحو ما.

وتنقسم القواعد الفكرية الثقافية إلى ثلاث حزم فرعية: الأولى: **قواعد تنظيم الاستكشاف والانطلاق**

(إنتاج العلوم والفنون والآداب، وممارسة الرياضة والترفيه، والاستمتاع بقضاء وقت الفراغ)، الثّانية: **قواعد تنظيم التفاعل الاجتماعي** (التضامن، الإيثار، الصداقة، التسامح، التعاون، والحب، الخ)، الثّالثة: **قواعد تنظيم التطلعات الفردية داخل الجماعة** (تأكيد الذات، إثبات الذات، تقدير الذات). وأهم المؤسسات التي تتجسد فيها هذه القواعد في العصر الحديث مؤسسات التعليم والبحث العلمي، والمؤسسات الثقافية، ومؤسسات الرياضة والترفيه والسياحة، وقبل الانتقال للوصف الإثنوغرافي، سيوضح كاتب المقال فيما يأتي المقصود بالتحول من الحالة التناظرية إلى الرقمية.

لعلّ مفهوم التناظرية والرقمية مستعار من مفاهيم الهندسة الإلكترونية، إذ يشير الأول إلى أن الأشياء أوالأوضاع أو الحالات المتغيرة في العالم الذي نعيشه، **لها قيم غير نهائية**، ويمكن إدراكها بإحدى الحواس الخمس أو بعضها أوكلّها، وعبر القرون، طوّر الإنسان أجهزة القياس المختلفة، لمعرفة خصائص الظواهر المختلفة: كدرجة الحرارة، المساحة، الحجم، الكتلة، السرعة، الزمن، شدة الصوت والضوء، الضغط، الخ، ووظيفة هذه الأجهزة أنها تمد الإنسان بتصور يناسب حقيقة الأشياء والظواهر المادية، كما استطاع الإنسان الاستفادة من القياس التناظري في فهم الظواهر غير المادية، كالظواهر الثقافية والاجتماعية، ويعد العقل البشري في القياس التناظري هو صاحب التقدير النهائي للقيمة.

وبعد ثورة الصناعات الإلكترونية في الخمسين من القرن العشرين التي قادتها اليابان في تلك الحقبة، حدث تطور نوعي في القياس، إذ أصبح جهاز القياس قادرا على **اختيار البديل النهائي للقيمة**، بناء على المدخلات التي يغذّى الجهاز بها. وهنا، تصبح الوظيفة الرئيسية للعقل البشري هي إدخال بيانات القياس، وتصبح وظيفة أجهزة القياس إمداد الإنسان بقيمة وحيدة ونهائية للشيء الخاضع للقياس، **أي إن القياس التناظري هو انعكاس وتمثيل لحقيقة الظواهر كما هي، أمّا القياس الرقمي فيعكس من الحقيقة ما تختاره الأجهزة بناء على مدخلات محددة.**

وعليه، فيكون العالم الاجتماعي تناظريا، كلما غلبت فيه العمليات والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية المباشرة والمتبادلة بين الأفراد والجماعات، التي يمكن قياسها وإدراكها إدراكا حسيا وعقليا لا نهائيا.

ونقسم العالم الاجتماعي التناظري إلى نوعين: الأوّل: التناظري التقليدي، والمفترض أن ينتهي هذا العالم باختراع الآلات البخارية والتصنيع. والآخر: التناظري الحداثي، وهو العالم الممتد من بداية عصر التصنيع وحتى بداية ثورة الاتصال في ثمانين القرن الماضي.

ونقصد بالعالم الاجتماعي الرقمي Digital Social Realm (DSR) الميل الدائم نحو استخدام التقنيات الرقمية المختلفة في الحياة اليومية، وإدارة العلاقات والتفاعلات داخل العالم الاجتماعي الواحد وبين العوالم المختلفة، عبر الوسائط الرقمية المختلفة، مع ميل دائم إلى تقليص العمليات والتفاعلات المباشرة والمتبادلة بين الأفراد.(4)

1_ قضاء وقت الفراغ في العالم التناظري: تجربة جيل إكس G.X

جيل أكس (Generation X) هم مواليد منتصف الستين إلى منتصف الثمانين، وهو الجيل الذي عاش طفولته بالكامل في ظل العالم الاجتماعي التناظري، وتعد حقبة ذات سمات خاصة في تاريخ المجتمع المصري، فقد شهدت تأسيس البنية الأساسية للتعليم

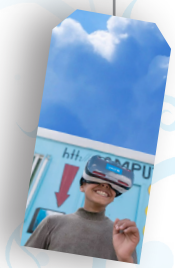

في الريف والحضر، تنفيذا لأهداف ثورة يوليو 1952، إذ أدى هذا إلى حراك طبقي لاحق لشرائح عريضة من المجتمع المصري، كما شهدت هذه الحقبة خاصة بعد 1973، هجرات مؤقتة للعمال والفلاحين والتكنوقراط للعمل بدول الخليج العربي.

وعلى المستوى الثقافي، شهد النصف الثاني من الحقبة انتشار دور السينما والمسارح في المدن المصرية، ولا سيّما التابعة لمؤسسة هيئة قصور الثقافة، وزيادة مطردة في المالكين لأجهزة التلفزيون في الريف والحضر.

وبالنظر إلى السياق الريفي أحد المصادر الثلاثة في الوصف الإثنوغرافي الذاتي في هذا المقال، نجد أن وقت الفراغ يتسم بالذكورية، أي إن استغلال الزمان والمكان كان يسيطر عليه الذكور دون الإناث في السياق الريفي، ويغلب أن يكون قضاء وقت الفراغ مرتبطًا بنشاط وحيد هو ممارسة كرة القدم في الشوارع، بكرة مصنوعة محليا، تسمى بالكرة الشراب، أو ممارسة الألعاب التراثية (الأولى، السبع طُوبَات، نَطة الإنجليز، العُقْلَة، الاسْتُغُمَّاية، طاقية العِبْ، عَفَرتْ نَفَرتْ، السِيجة)(5).

أما الأطفال البنات، فقد كانت لهن ألعاب مخصوصة، وهي ألعاب تحاكي دور الأم في المنزل الريفي في إعداد الطعام وصناعة الخبز ورعاية الأطفال، وهو سلوك موروث يستهدف إعادة إنتاج العادات والتقاليد المحلية.

ويعاني جيل أكس محدودية النطاق الزماني والمكاني لقضاء أوقات الفراغ، ففي أوقات الزرع والحصاد، يكاد وقت الفراغ يختفي، وعلى مدار اليوم، فإن وقت الفراغ ينتهي بمجرد تناول وجبة العشاء، إذ يخلد الجميع للنوم، للاستيقاظ قبل الفجر، وعليه، فإن الحقبة الوحيدة المتاحة لقضاء وقت الفراغ هي قبل الغروب بساعة أو ساعتين على الأكثر.

وعلى مستوى الوضع الطبقي، كان أبناء الطبقة الوسطى الريفية يتمتعون بوقت فراغ أطول نسبيا، خاصة إذا كانوا يمتلكون جهاز تلفزيون، فيما يكدح أبناء الطبقة الفلاحية في الريف مع أسرهم في الحقل، إلى جانب ذهابهم للمدرسة الابتدائية في الصباح، وهو الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبة التسرب من التعليم، خاصة بين أبناء الفلاحين الفقراء، فقد كانت الأسرة تجبر الطفل عند بلوغ سن العاشرة على العمل لدى الغير (ثلث أجر العامل الكبير).

وتحمل ذاكرة الكاتب حادثة لأحد أصدقائه الذي كان يجبر على العمل بالمنقرة (الفأس الصغير) لدى الغير، إذ أصابته الحمى في يوم من الأيام، وعاد إلى المنزل دون أن يكمل ساعات العمل، فعوقب من والده عقابا ماديا ورمزيا قاسيا، وبسبب تدهور حالته الصحية، نقل إلى المستشفى، وحجز بها لمدة عشرة أيام.

وأما في السياق الحضري الصناعي، فقد كان وقت الفراغ لجيل إكس مختلفا يتجه نحو التضييق، فأبناء العمومة في المحلة الكبرى ينتمون إلى أبناء الطبقة العاملة المستقرة، نتيجة عمل رب الأسرة في أحد مصانع النسيج المملوكة للدولة، ولا توجد فروق مهمة في قضاء وقت الفراغ لدى الأطفال في هذه البيئة الصناعية الناشئة، بل على العكس كان السياق الحضري مكبلا للأطفال أكثر من السياق الريفي، فالطفل يظل حبيس المنزل، وفي الصباح يبقى حبيس المدرسة، ولا تتاح له فرصة سوى حصة الألعاب بالمدرسة، والفتاة في هذه البيئة العمالية الحضرية تعاني أكثر من الأطفال الذكور، ففي المدرسة، لا تستطيع مشاركة الذكور حصة الألعاب. لذلك، كانت فرحة أطفال المحلة الكبرى لا توصف عند عودتهم للقرية لقضاء العطلة الصيفية.

أمّا أبناء القاهرة، فقد تميّزوا بانتمائهم إلى الطبقة الوسطى المتنفذة، بسبب أن رب العائلة كان من قيادات وزارة المعارف في ذلك الوقت، وكان بإمكان الأطفال في القاهرة الذهاب بانتظام إلى النادي الاجتماعي وممارسة الرياضة بانتظام، والاستمتاع بقضاء وقت الفراغ في ممارسة أنشطة متنوعة، كما كان بإمكانهم الذهاب بصحبة ذويهم إلى دور السينما أو المسارح أو الحفلات الغنائية خلال العطلات الأسبوعية، ويغلب أنّهم يستمتعون بقضاء العطلة الصيفية في إحدى المدن الشاطئية.

والملاحظة الإثنوغرافية اللافتة أن نشاط القراءة كان غائبا في السياق الريفي والحضري الصناعي، غير أنه كان حاضرا بقوة بين الأنشطة التي يمارسها أبناء القاهرة في أوقات فراغهم، ولا سيّما قصص المغامرات والقصص البوليسية.

2_ قضاء وقت الفراغ بين عالمين: تجربة جيل مكس G.Mix

جيل مكس(Generation Mix) هم مواليد ما بعد منتصف الثمانين حتى منتصف التسعين، وهو الجيل الذي عاش طفولته المبكرة في ظل العالم التناظري، وطفولته المتأخرة في بداية التحول نحو العالم الرقمي، وقد شهدت مصر في هذه الحقبة توسعا في سياسة الانفتاح الاقتصادي المرتكز على تنمية القطاعين التجاري والمالي، وحدث إهمال وتدهور في القطاعين الزراعي والصناعي.

وبالجملة، فإن المرحلة أدت إلى تحول مصر من رأسمالية الدولة الوطنية إلى الرأسمالية التجارية-المالية التابعة، وبمرور الوقت، حدث تشويه عميق في الاقتصاد المصري، نتيجة عدم توازن في القطاعات الاقتصادية، وهذا أدى إلى تزايد العجز في إيرادات الدولة والدخول إلى دائرة الديون المتراكمة، فارتفعت معدلات التضخم مع الجمود في الأجور.

وعلى المستوى الاجتماعي- الاقتصادي، كفت الدولة يدها عن تشغيل الخريجين الجدد، بدءًا من عام 1984، وما لبثت أن تفاقمت مشكلة البطالة عقب انهيار أسعار النفط في بداية التسعين، فأدى ذلك إلى تقلص حجم العمالة المصرية في بلدان الخليج، وشهدت الحقبة تحولات أمنية خطيرة تمثلت في

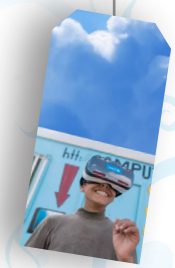

زيادة حدة النشاط الإرهابي في مصر، وأصبحت يد الإرهاب قادرة على النيل من رموز الدولة السياسية والثقافية، كاغتيال الدكتور رفعت المحجوب في عام 1991، واغتيال الدكتور فرج فودة عام 1992، ومحاولة اغتيال الأديب العالمي نجيب محفوظ عام 1994، ومحاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك عام 1995.

وعلى المستوى التكنولوجي، شهد جيل مكس الانتقال من عصر التلفزيون، إلى عصر الفيديو كاسيت، فإلى عصر الفضائيات ثم عصر الكمبيوتر، والهاتف الخلوي، وهذه التحولات أثرت كثيرا في أسلوب قضاء وقت الفراغ لدى الطفل المصري، وهم يودعون الحياة الاجتماعية التناظرية والدخول في رحاب الحياة الاجتماعية الرقمية، ولا سيّما أبناء الطبقة الوسطى الريفية والحضرية، فقد أصبح متاحا لهم الاستمتاع بمشاهدة الأفلام الكوميدية والرومانسية، وأفلام الحركة، والمسرحيات، والإقبال على مشاهدة مباريات كرة القدم عبر الفضائيات.

وفي المقابل، تراجعت الألعاب التراثية التقليدية كثيرا خلال تلك الحقبة، بسبب هيمنة الصورة على العقول، إلى جانب سوء الأحوال الأمنية، خاصة في المدن المصرية، مع لفت الانتباه إلى أن الطبقة الفلاحية والطبقة العمالية لم يتأثرا كثيرا بهذا التطور الرقمي، بسبب ارتفاع تكلفة الحصول على الخدمات التكنولوجية المذكورة.

وبقي أطفال جيل مكس من الطبقة الوسطى المستقرة في مدينة القاهرة الأكثر انفتاحا وتطورا واستفادة من التطورات التي لحقت تكنولوجيا الاتصال، لكن مع ذلك، فإن الممارسة المتنوعة لأنشطة شغل وقت الفراغ في جيل مكس تأثرت سلبا بالتطور التكنولوجي الحادث، بسبب تضافر الظروف الاقتصادية والأمنية والسياسية على تقليص أوقات الفراغ كما ونوعا لدى المصدر الإثنوغرافي القاهري، فلم يعد لدى الأسرة الممتدة في القاهرة القدرة على تقديم الخدمات المختلفة لأطفالها كما كان الأمر في المرحلة التناظرية البحتة، وهذا يعني أن جيل مكس الذين كانت طفولتهم المبكرة تناظرية، وطفولتهم المتأخرة رقمية، تنتابهم الآن حالة من الشوق والحنين إلى العالم الاجتماعي التناظري الذي يشع بصور شتى من العلاقات الدافئة والمشاركة الوجدانية والذكريات الجميلة.

3_ قضاء وقت الفراغ في عالم رقمي واعد: تجربة جيل زد G.Z

جيل زد(Generation Z) هم مواليد منتصف التسعين حتى نهاية العقد الأول من الألفية الجديدة، وهو الجيل الذي عاش طفولته المبكرة في بداية التحول الرقمي، وطفولته المتأخرة في خضم التحولات الرقمية فائقة الذكاء.

وقد شهدت الحقبة الرابعة والأخيرة تطورا شديد السرعة في تقنيات التواصل، ولم يعد الطفل أو الإنسان بصفة عامة مشاهدا سلبيا كما كان يتعامل مع الإذاعة والتلفزيون من قبل، بل أصبح قادرا على التفاعل والمشاركة وصناعة المحتوى.

لكن، حتى هذه اللحظة، كانت مستلزمات التحول الرقمي مرتفعة الثمن، ولا يمكن تعميمها على كل أفراد الأسرة إلا في الطبقات المتوسطة المستقرة والطبقات العليا، أما الشرائح الاجتماعية الأقل، فقد كان الكبار مع الأطفال يقضون وقت فراغ واحدًا تقريبا، إذ يستخدمون معا نفس الأجهزة الرقمية المحدودة المتاحة داخل المنزل، وعلى رأسها الكمبيوتر

المكتب، وفي هذا السياق، يتعرض جميع أفراد الأسرة في المصدر الريفي والحضري الصناعي في المحلة الكبرى لنفس المؤثر الرقمي، ويستلب الوقت، ويغير أفكار الجميع بشكل مطّرد، فينسحب الجميع من العالم التناظري رويدا رويدا مفضلين البقاء في المنزل، ويقع الجميع فريسة المحتوى الرقمي الذي توزّعه الخوادم الكبرى على كوكب الأرض، حتى إنّ المتعة الأساسية للأطفال الذكور المتمثلة في لعب كرة القدم في الشوارع قد تأثرت بهذا المد الرقمي، واستبدل الأطفال بها مشاهدة مباريات الأندية العالمية وتشجيعها.

لكن المصدر الإثنوغرافي في مدينة القاهرة، بسبب الوضع الاقتصادي المستقر للأسرة، استطاع تجاوز مرحلة تشارك جميع أفراد الأسرة في استخدام نفس الأجهزة إلى مرحلة خصوصية كل فرد في تملك الجهاز الخاص به، وهنا بدأ أفراد الأسرة القادرة الانعزالَ داخل المكان الواحد.

وفي هذه الحقبة، انتشرت ألعاب الكمبيوتر انتشارا سريعا، وأصبح بالإمكان إتاحة هذه الألعاب لأكبر قدر ممكن من الأطفال، عن طريق محلات السايبر التي زادت في الريف وفي الأحياء الشعبية الفقيرة في الحضر، ويستطيع الطفل من خلال مصروفه اليومي أن يتشارك مع أقرانه في اللعب داخل هذه الأماكن .

4- قضاء وقت الفراغ في عالم رقمي فائق الذكاء: تجربة جيل ألفا G.Alpha

جيل ألفا(Generation Alpha) هم مواليد ما بعد 2010 الذي يعيش طفولته كلها في ظل التحولات الرقمية فائقة الذكاء، وهو جيل يتعرض حاليا لمحتوى مرعب وخيالي إلى أقصى درجة، مصحوبا بالحالة التي نشأت في حقبة جيل زد، وهي حالة الانسحاب من المجال العام، ومن الاجتماعي إلى النفسي.

وفي هذه الحقبة، يستطيع الغالبية العظمى من الأطفال امتلاك وسيلة للاندماج في العالم الرقمي، بطريقة أو بأخرى. وفي هذا السياق، يتعرض الأطفال – والكبار- إلى محتوى خيالي ومقنع ومخيف، ومع الوقت، بدأت تطفو على السطح أمراض هذه الحقبة الرقمية وتأثيرها في المجتمع من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والروحية.

والمتأمل فيما حدث من هبات جماهيرية في 2011، فيما يسمى بثورات الربيع العربي، يجد استغلالا لقدرات العالم الرقمي في وصول المحتوى إلى الجميع في الوقت نفسه، وخلق محتوى ظرفي انعكاسي يستغل المواقف والأحداث التي تتم في ميادين التظاهر لحظة بلحظة.

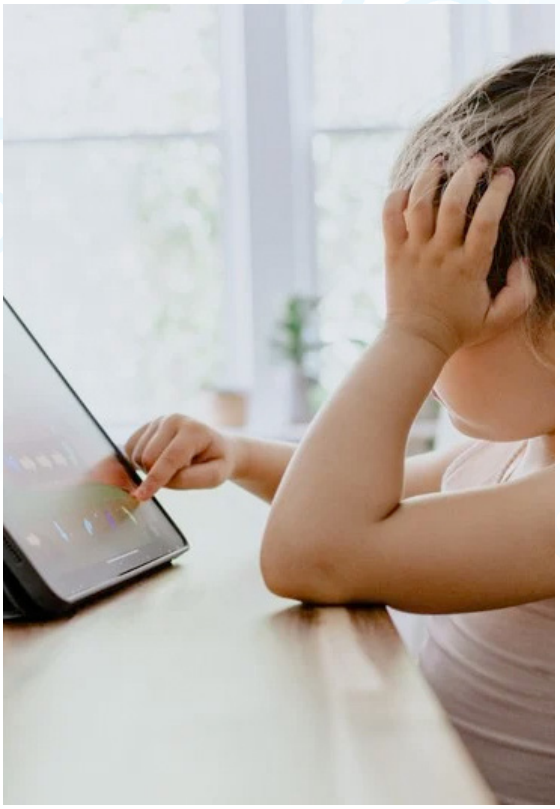

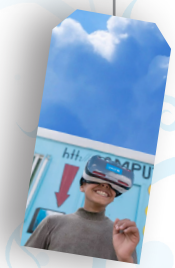

ولقد نجحت وسائل التواصل الاجتماعي نجاحا باهرا في إخراج الشباب من العزلة إلى الشارع، وكان الاندفاع قويا، لكن بعد هدوء العاصفة، بات الجميع على يقين بأن الانسياق وراء المحتوى الرقمي الذي يصنع خارج المجتمعات يمكن أن يدمر الدول والأوطان لأحقاب طويلة.

وعلى مستوى التربية والتنشئة الاجتماعية، فإنّها تلاحظ من المصادر الإثنوغرافية الثلاثة، وبالرغم من اختلاف الأوضاع الطبقية والجهوية، فإن الاستجابة للعالم الرقمي فائق الذكاء كانت متشابهة ومتقاربة، وهذا يعني أننا أمام تحد خطير يتعرض له الجميع، ولا مبالغة إن عممنا ذلك على مستوى الطفل العربي، الذي سيكون الخاسر الكبير في العالم الاجتماعي الرقمي، إذ نجد أن جيل ألفا والأجيال التي تليه – إذا ظلت عمليات التنشئة الاجتماعية كما هي الآن- سوف يفقد القدرة على الالتزام الطوعي بالقواعد الاجتماعية والثقافية والروحية المنظمة للسلوك، لوجود خلل في عملية الغرس المعرفي أو الأخلاقي، التي تتم عبر التنشئة الاجتماعية.

ولكي تنجح عملية الغرس، وفقا لنظرية القواعد المتصارعة، يلزمها مُيَسِّر؛ لغة؛ قيمة نفعية؛ قيمة مطلقة؛ ونظام للجزاء: (أ) فالميسر هو الإنسان القائم بعملية التربية، سواء أكان فردا من أفراد الأسرة أم مدرسا أم مشرفا في دور الرعاية، الخ. وكلما كان الميسر مرنا متسامحا وعارفا، كان ناجحا في عملية الغرس(ب). ولابد أن تتم عملية الغرس باستخدام لغة تواصلية دقيقة واضحة، بحيث يكتسب النشء دلالات القواعد التي تغرس، ويدركها إدراكا سليما. (ج) ثم تبدأ العملية الجوهرية للغرس ببيان القيمة النفعية المرجوة التي سوف تعود على الفرد من اتباع هذه القواعد، وهذه المصلحة النفعية هي التي تدفع الأفراد بعد الغرس إلى التصرف بالإرادة الطوعية الحرة(د). وفي الخطوة الرابعة، يتعلم النشء القيمة المطلقة المتوخاة من التزام هذه القواعد، والمطلق هنا بمعنى النفع العام أوالخيرية أوالروحانية(هـ)، ثم يتعلم الناشئ أن اتباع هذه القواعد أو مخالفتها لهما عواقب وجزاء، فالممتثل له مكافأة، وأمّا المخالف، فيوقع عليه عقاب مادي أو معنوي أو كلاهما. فماذا يحدث حين تتوغل آليات العالم الرقمي؟

حين يتعرض الطفل إلى ميسر مجهول، تكون أحيانًا كيانات غريبة بعضها مرعب (أسماء مستعارة، شخصيات اعتبارية مجهولة، أبطال داخل رسوم المتحركة، أو الألعاب الإلكترونية، الخ) فيفقد هذا الطفل النموذج المثالي أو القدوة الحقيقية التي يحب أن يتقمصها، وربما يتقمص الطفل نموذجا رقميا يدفعه إلى سلوك عدواني أو رعونة غير مسؤولة، أو انفلات أخلاقي، وغيرها من النماذج.

وعلى مستوى القيم النفعية، لا يتمكن الناشئ من فهم القيمة النفعية للمحتوى المقدم له؛ لأن منتج المحتوى يستهدف الجذب فقط، لأهداف تجارية أو سياسية أو أيديولوجية، فتضيع فرصة التعرف النقدي على المصلحة التي كانت متوافرة في الغرس التناظري، وكذلك الأمر على مستوى القيم المطلقة، فالمرجع القيمي والأخلاقي غير معلوم أو مشتت بين البرامج والمحتويات، وأخيراً، فإن العالم الرقمي يقول لصاحبه: عش كما تحب، وانتظر المكافأة النفسية التي نمنحها لك، لا رقيب عليك ولا عقاب يمكن أن يطولك.

إذن، الأمر خطير، ويحتاج إلى إستراتيجيات تربوية جديدة، تأخذ من العالم التناظري أفضل ما فيه، وتأخذ من العالم الرقمي أفضل ما فيه، وفي عملية

دمج حضاري جديد، تفتح آفاق المجتمع نحو التقدم والتنمية(6).

وفي ذات السياق، لا ندري بالتحديد مآل الطفولة، بعد تطوير تطبيق الميتافيرس Metaverseالذي يحمل وعدا كبيرا في مجال قضاء وقت الفراغ للأطفال، بالإضافة إلى فوائد أخرى ثقافية وأكاديمية وحيوية، ولا بد من وجود وسائل حاسمة للتحكم في المحتوى الذي يقدمه هذا التطبيق لحماية الأطفال – والكبار- من المخاطر التي يمكن أن يتعرضوا لها.

ويضاف إلى هذه التحديات التطور المذهل لاقتحام الروبوت حياتنا الاجتماعية، وما يجري حاليا من تجارب تسمح للروبوت أن يطور أجيالًا جديدة من الروبوتات، وهذا يعني انتهاء عصر سيطرة الإنسان على الآلة. وعلى صعيد آخر، يعمل المختصون في الذكاء الصناعي في الشركات والمراكز البحثية على إنتاج شرائح إلكترونية تزرع في عقل الإنسان، ولديها القدرة على القيام بمهمات شبه مستحيلة في مجالات حياتنا اليومية كافّة.

وفي جملة ختامية واحدة: يخلق العالم الرقمي حالة تحدٍّ واسعة النطاق، وعلى مؤسسات رعاية الطفولة بذل جهود استثنائية مختلفة عن ذي قبل، والقيام بدورها – دون إبطاء- في استثمار فرص الرقمنة وفوائدها، ومواجهة تحدياتها على الفرد والمجتمع، وتجنب مخاطرها، فهل نحن فاعلون؟

المراجع:

1. TESSA MUNCEY. 2005. Doing Auto-ethnography. International Journal of Qualitative Methods. 4(1), 69-86. P. 70
2. Szwabowski Oskar et al. 2022. Teaching (through) Autoethnography. Research in Education, Vol. 112(1) Ù39–58. P. 40

3.أحمد موسى بدوي، 2021، قرن من الحداثة وما بعدها: رحلة الأسرة المصرية من العالم الاجتماعي التناظري إلى الرقمي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، مجلة أحوال مصرية، العدد (80) 77: 87.ص 78.

4.للمزيد يمكن الاطلاع على موقع الأرشيف المصري للحياة والمأثورات الشعبية: https://nfa-eg.org/Default.aspx

5. أحمد موسى بدوي، 2021، قرن من الحداثة وما بعدها: رحلة الأسرة المصرية من العالم الاجتماعي التناظري إلى الرقمي، مرجع مذكور، ص 85.

6.أحمد موسى بدوي، 2018، القواعد المتصارعة: نظرية عربية جديدة في علم الاجتماع، مجلة وادي النيل، العدد 18(3): 217 - 272.

مقالات وبحوث :

- الطفل والموروث الثقافي — 56
  د. محمد فاضل سلمان المحاسنة

- «الطفل في المرحلة العمرية الأولى : الاحتياجات وتطبيقاتها » — 63
  أ. هميس الجمني

- شخصية العدد : ماذا قدم بديع الزمان الجزري للإنسانية «بصمات واضحة وفكر أصيل تخطى عصر المحرك البخاري إلى عصر الأتمتة والروبوت» — 67
  أ. محمد حمزة منصور

- مؤسسة العدد : قرى الأطفال أس أو أس SOS — 75
  د. منذر الطمني

الطفل والموروث الثقافي

د. محمد فاضل سلمان المحاسنة
جامعة البلقاء التطبيقية ـ المملكة الأردنية الهاشمية

بحوث ودراسات

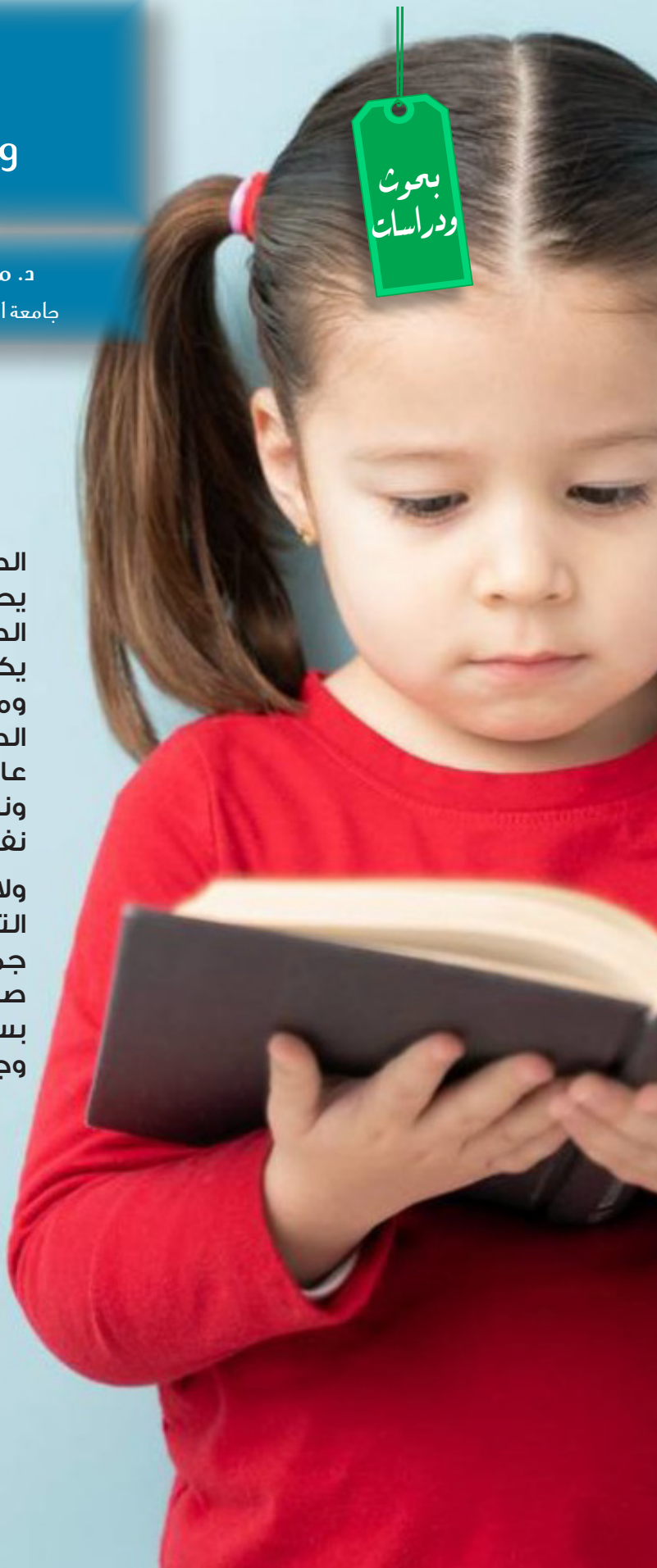

الطفل هو ذاك الكائن الصغير الذي يحلم به الأبوان وينتظران مولده بفارغ الصبر، وهو حين يخرج إلى هذه الدنيا يكون صفحة بيضاء ليس فيها شيء، ومع مرور الأيام والليالي تمتلئ تلك الصفحة بما يقوم به أهله أمامه من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها، فتتأصل يومًا بعد يوم في نفسه وتترسخ، وبها تتشكل شخصيته.

ولا ريب في أنّ عصرنا هذا هو عصر التقدم والتطور في مناحي الحياة جميعها حتى بدا الكون كأنه قرية صغيرة-فما يحدث في شرقه ينتقل بسرعة وسهولة إلى غربه وشماله وجنوبه كذلك.

وحريٌّ بنا أن نستثمر هذا التقدم في نشر الوعي الثقافي لكسر الجمود ومواجهة التحديات التي تواجه أُمتنا وتفند ما يشاع على ألسنة الكثيرين من عبارات النقد لموروثنا الثقافي والأخلاقي، وأصبحت تطرق مسامعنا صباح مساء لإيصال أفكار مروجيها إلى أجيالنا الجديدة، ودعوتهم لإعادة صياغة أفكارهم، وتصوراتهم لما يناسبهم ويسعون إليه.

وقد آن الأوان أن نواجه التحديات، ونعيد ترتيب أولوياتنا، ونجعل أهمها نقلَ موروثنا الثقافي الذي نتميز به ونفتخر به أمام أطفالنا جيل المستقبل، وعماد الأمة القوي الذي نتمنى أن يقف سدًّا منيعًا أمام الثقافات الدخيلة على أمتنا.

ونحن في زمن كثرت فيه الأفكار الغريبة الخارجة عن عاداتنا وتقاليدنا، وكثر فيه الداعون لها، والعجيب أن هناك من يُصغي إليهم، ويقتنع بأفكارهم، فيقع في المحظور، ويندم ولا ينفع عند ذلك الندم، فلا بد إذن من تحصين أجيالنا بالفكر السليم، وتزويدهم بما يمكنهم من الحكم والمحاكمة ليميزوا الغث من السمين، وأن تكون عنايتنا بهم شاملة متكاملة من كافة النواحي.

إن موروثنا الثقافي قلّما تجد مثله؛ فهو أصيل راسخ ثابت لا تغيره تقلبات الدهر ومرور السنوات، منه ما هو قبل الإسلام وحين جاء الإسلام أيّده وثبته، وأقره، وبذلك حصل التحول التاريخي في حياتهم من جاهليةٍ جهلاء إلى إشراقة إسلام يفاخرون به الدنيا بأسرها.

وقد برزت مع الزمن أدوار نشطة لهيئات ومؤسسات رديفة للأسرة جلّ اهتمامها تنشئة الأجيال تنشئة صالحة ليبقوا على درب الآباء والأجداد والتمسك بالموروث والقيم النبيلة من كرمٍ ونخوةٍ وشهامةٍ وحب للأوطان والذود عنها بكل غالٍ ونفيس، وسنتطرق لأدوار تأثير هذه الهيئات والمؤسسات وعلى رأسها الأسرة بشيءٍ من التفصيل في ظل العصر الرقمي والفضاء المفتوح.

الطفل والموروث الثقافي: بناء الهوية وتشكيل الشخصية

يعدّ الطفل مخلوقًا يمتلك قدرات فطرية وقابلة للتأثير والتشكّل من البيئة المحيطة به، ومن أبرز عوامل التأثير في شخصيته وتكوّن هويته الموروثُ الثقافي، فعندما نتحدث عنه، فإننا نشير إلى القيم والعادات والتقاليد والمعتقدات التي تنقل من جيل إلى جيل في إطار مجتمع معين.

إن تأثير الموروث الثقافي على الطفل يبدأ منذ الطفولة المبكرة، حيث يكون الطفل عرضة لاستقبال القيم والمفاهيم والسلوكيات التي تمثل جزءًا من تراث مجتمعه، ليتمثل هذا التأثير في تعزيز الانتماء إلى المجتمع وبناء الهوية الثقافية.

ومن الملاحظ أن الطفل يكتسب الموروث الثقافي من خلال تفاعله مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، بدءًا من الأسرة والمدرسة وحتى وسائل الإعلام والتكنولوجيا. ومن هنا، تأتي أهمية دور الأسرة في نقل الموروث الثقافي وتعزيزه، إذ تعدّ الأسرة بيئة أولية تمنح الطفل فرصة لاكتساب القيم والتقاليد والعادات التي تميّز ثقافته، ويمكن إبراز هذا التأثير بشيءٍ من التفصيل على النحو الآتي:

أولاً: دور الأسرة في تشكيل شخصية الطفل وانعكاس ذلك على موروثه الثقافي:

عرف القرآن الكريم الطفل بأنه ذلك المخلوق الإنسان الذي لم يبلغ الحلم وهي الفترة البيولوجية التي يكتسب فيها الأطفال السمات الجسدية

للبالغين، إذ قال تعالى: " إذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم"، النور56. وهو ما أخذت به هيئة الأمم المتحدة في تعريفها للطفل بانه: " إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة". هذا ما يتعلق بالشكل والبنية والعمر، أما ما يتعلق بتشكل الشخصية المعنوية، فقد ورد ذلك واضحًا في السنة النبوية، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ".

وتشير الدراسات التربوية المعنية بالطفولة وبأدبها الطفولة إلى أن تأثير الأسرة في تشكيل شخصية الطفل والموروث الثقافي لها يعدّ أساسيًّا في تطور الفرد بدنيًا وعقليًا وتكوين هويته الشخصية والثقافية، إذ يمكن إبراز ذلك من خلال ما يأتي:

- التربية والتوجيه: تؤدّي الأسرة دورًا أساسيًّا في توفير بيئة آمنة وداعمة لتعلم الأطفال وتوجيههم، فمن خلال الأسرة، يتعلم الأطفال القيم والسلوكيات التي تؤثر في تطورهم الشخصي والاجتماعي، وهي تمثل المصدر الرئيسي للتأثير الأولي في نمو الطفل وتشكيل شخصيته، إذ أنه عبر الأسرة، ويتلقى الأطفال الرعاية والحب اللذين يساعدانهم على بناء الثقة بالنفس والشعور بالأمان، وهذا يؤثر تأثيرًا كبيرًا في تطورهم النفسي والعاطفي، كما يتعلم الأطفال من أفراد الأسرة قيمًا مثل الاحترام والصدق والتعاون والتسامح، وهذه القيم تمثل الأساس لتكوين سلوكياتهم وتفكيرهم المستقبلي، بالإضافة إلى ذلك، تقوم الأسرة بدور مهمّ في توجيه الأطفال وتعليمهم المهارات الضرورية للتفاعل مع العالم الخارجي، سواء أكان ذلك من خلال تعلم القيم الاجتماعية أو تطوير مهارات التواصل وحل المشكلات، ومن هنا نستخلص أن الأسرة تنهض بدور أساسيّ في تطوير شخصية الطفل وبناء قواعده الأساسية في الحياة، وهي تؤثر في تشكيل تصرفاته المستقبلية ومسار حياته.

- النماذج الأسرية: يتأثر الأطفال بالنماذج الذين يراهم في الأسرة، سواء أكان ذلك من الوالدين أم الأقارب الآخرين، إذ تشير الدراسات المتعلقة بهذا المجال إلى أن النماذج الأسرية تؤدّي دورًا بارزًا في تشكيل شخصية الأطفال وتوجيه سلوكهم وقيمهم. إذ يقتدي الأطفال بما يرونه من سلوكات وأنماط تفكير لدى أفراد الأسرة المحيطين بهم والمقربين منهم على وجه الخصوص كالوالدين والإخوة والجد والجدة، سواء أكان ذلك إيجابيًّا أم سلبيًّا، فعلى سبيل المثال، إذا رأى الطفل والديه يظهران احترامًا وتقديرًا لبعضهما وللآخرين، فمن المرجح أن ينمو الطفل ويتعلم أهمية الاحترام والتقدير، وعلى الجانب الآخر، إذا شاهد الطفل سلوكات سلبية مثل العدوانية أو العنف في الأسرة، فقد يتأثر بذلك ويقلده في سلوكه، لذلك، من المهم على الوالدين وأفراد الأسرة أن يكونوا نماذج إيجابية للأطفال، من خلال التصرف بأخلاقية واحترام وتقدير، والعمل على توجيه الأطفال نحو السلوكات الإيجابية وتعزيز القيم الإيجابية في حياتهم.

- التواصل والتفاعل الاجتماعي: الإنسان كائن بيولوجي معقد التركيب، والبيئة الاجتماعية والوسط الاجتماعي يمنحانه نعت الاجتماعية، لكونه يميل إلى العيش مع غيره ويؤثر بهم ويتأثر، لذلك فإن البيئة الاجتماعية تعمل على تحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي. والأسرة توفر بيئة للتواصل الاجتماعي والتفاعل اللذين

يساعدان على تطوير مهارات التفاوض والتواصل الاجتماعي للطفل، وهذا يؤثر في شخصيته وطريقة تفكيره وتعامله مع الآخرين في المستقبل، فالتواصل الاجتماعي يشير إلى القدرة على التفاعل والتواصل مع الآخرين، سواء أكان ذلك عبر الكلام أم غيره من وسائل التواصل اللفظي وغير اللفظي، أمّا التفاعل الاجتماعي، فيشمل الردود والتفاعلات التي يقوم بها الأفراد خلال هذا التواصل، بالإضافة إلى فهم تلك الردود والتفاعلات من الآخرين.

ولكون الأسرة توفر بيئة للتواصل الاجتماعي والتفاعل: فهي إذن الوسط الأول الذي يتعلم فيه الأطفال كيفية التواصل مع الآخرين والتفاعل معهم، وهي في الوقت نفسه توفر الفرص والمواقف التي تساعد الأطفال على تطوير مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي التي تساعد الطفل على التعبير عن رغباته واحتياجاته بشكل فعال، وتنمي لديه مهارات التفاوض التي تشمل القدرة على التحاور مع الآخرين للوصول إلى اتفاق مشترك أو حلّ للنزاعات، كما أن البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الطفل تؤثر في تطور شخصيته ونموه الاجتماعي وطريقة تفكيره وتعامله مع الآخرين في المستقبل، وتُعدّ أساسًا لسلوكاته وعلاقاته الاجتماعية اللاحقة.

- التراث الثقافي والتقاليد: من خلال الأسرة، يتعرف الطفل التراث الثقافي لعائلته ويتعلم التقاليد والقيم الثقافية التي تميز عائلته ويندمج فيها وتؤثر في هويته الثقافية، ويبرز دور الأسرة في نقل التراث الثقافي والتقاليد إلى الأطفال من خلال ما يلي:

· التواصل الجيلي: إذ من خلال الأسرة، يتم تمرير التقاليد والقيم من جيل إلى آخر، كما يتعلم الأطفال من أسرهم عن تاريخهم وتقاليدهم وكيف كانوا يعيشون ويتفاعلون مع المجتمع.

· تعزيز الهوية الثقافية: يساعد الاندماج في التقاليد والقيم الثقافية للأسرة على تعزيز الهوية الثقافية للطفل، إذ من خلاله يشعر الطفل بالانتماء إلى مجتمعه وثقافته، وهذا يساعده على بناء ثقته بنفسه وفهمه لمكانته في المجتمع.

· تعزيز القيم والأخلاق: يعلّم الأهل الأطفال القيم والأخلاق التي تعدّ مهمة في ثقافتهم، مثل الاحترام والتسامح والعمل الجاد، ويكون ذلك من خلال المثال الذي يقدمه الوالدان، ومن القصص والتجارب التي يشاركونها معهم.

· تعزيز التواصل الاجتماعي: يمكن للأسرة أن تكون الوسيلة الرئيسية لتعليم الأطفال كيفية التفاعل مع أفراد المجتمع والمحافظة على علاقات صحية وإيجابية مع الآخرين، كالاقارب والجيران في إطار منظومة القيم والموروث الاجتماعي.

· الحفاظ على التراث: يسهم نقل التراث الثقافي والتقاليد من جيل إلى آخر في الحفاظ على الثقافة والتاريخ الخاص بالأسرة والمجتمع، ويعد هذا النقل الجيلي جزءًا أساسيًا من المحافظة على التراث الثقافي وتطويره ليظل حيًا ومتجددًا.

- الدعم العاطفي والنفسي: تفيد الدراسات المتعلقة بعلم النفس أن الدعم الذي يحظى به الطفل في بيئة الأسرة يؤثر في مستوى ثقته بنفسه وقدرته على تحمل التحديات والتطلع إلى تحقيق أهدافه بنجاح، ويساعده على تطوير شخصيته وتحقيق إنجازاته بنجاح.

وتتمثل أشكال الدعم المقدم من الأسرة في تقديم الدعم العاطفي، كالاستماع الفعّال وتقديم الدعم العاطفي في الأوقات الصعبة، ويشمل

الدعم النفسي تشجيع الطفل على تطوير مهاراته واستقلاليته وتعزيز إيجابية تفكيره وتوجيهه نحو الأهداف الشخصية والاجتماعية، لذا، يعد دعم الأسرة للطفل عاملاً حاسمًا في تشكيل شخصيته ونجاحه في مختلف مجالات حياته.

ثانيًا: ما دور المدرسة في تشكيل شخصية الطفل وانعكاس ذلك على موروثه الثقافي:

تنهض المدرسة بدور مهم في تشكيل الهوية الثقافية للطفل، إذ توفر بيئة تعليمية تسهم في تعزيز القيم وتنمية المعارف وتشجيع التفكير النقدي والابتكار، وقد أثبتت الدراسات التربوية أن المدرسة تؤدّي دورًا حيويًّا في تشكيل الهوية الثقافية للطفل.

ويترجم هذا الدور من خلال الآتي:

- البيئة المدرسية: تمثل المدرسة في كثير من المناطق بيئة متعددة الثقافات تعكس تنوع المجتمع المحلي وأحيانًا بشكل أوسع العالم، خاصةً في مراكز المدن الرئيسية التي تضم تنوعا ثقافيا وأيدولوجيا وفقًا لمنابت السكان وجنسياتهم ومعتقداتهم، فعندما يتعرض الأطفال لثقافات متنوعة من خلال الزملاء والمعلمين والمواد التعليمية، يمكن أن يكتسبوا فهمًا أعمق للعالم من حولهم.

- المناهج الدراسية: تؤدّي المناهج دورًا مهمًّا وحيويًا في تشكيل الهوية الثقافية للطلبة، إذ تسلط الضوء على تاريخ الثقافة، والأدب، والفن، والعلوم لمختلف الثقافات، وهذا التنوع من شأنه أن يساعدهم في تطوير فهم أعمق للعالم من حولهم، ويمكنهم من تشكيل نظرة إيجابية نحو الآخر وقبول الاختلاف والتنوع في الشكل والثقافة والمعتقد وطريق العيش والحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد للشعوب الأخرى، والنظر لثقافته وموروثه الثقافي بشيء من الاعتزاز والفخر، وهذا ما يدفع نحو التجذر والتشبث بقيمه وعاداته بوصفه نوعًا من الندية وإثبات الذات.

- الفعاليات الثقافية والمجتمعية: تنظم المدارس غالبًا فعاليات ثقافية مثل الاحتفالات بالأعياد والمهرجانات والرحلات الميدانية، فهذه الفعاليات تسمح للطلاب بفهم الثقافات المختلفة بشكل أكبر.

- التفاعل مع المعلمين والزملاء: فالتفاعل مع المعلمين والزملاء من خلفيات ثقافية متنوعة يُمكن للطلاب تبادل وجهات النظر والتعلم من بعضهم، وهذا يؤدي إلى فهم أعمق وأكثر احترامًا للثقافات الأخرى.

وبإيجاز، ليست المدرسة بنكًا للمعلومات ولا مجرد مكان لتلقي المعرفة الأكاديمية، بل هي أيضًا محور رئيسي في بناء الهوية الثقافية والتفاهم الثقافي للأطفال والأجيال.

ثالثًا: ما دور التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة في تشكيل شخصية الطفل وانعكاس ذلك على موروثه الثقافي:

لا يمكن إنكار دور التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة في تشكيل ثقافة الطفل، إذ يتعرض الطفل من خلالها لمختلف الثقافات والقيم والتقاليد التي قد تكون مختلفة عن تلك التي ينتمي إليها، وهذا يعزز فهمه للتنوع الثقافي ويغني تجربته الشخصية.

ومع ذلك، يجب أن نلاحظ ان التكنولوجيا جعلت العالم قرية صغيرة في متناول الجميع من خلال أجهزة بسيطة وصغيرة يمتلكها الكثير حول العالم، فوفقًا للدراسات، ارتفع عدد الذين يستخدمون التكنولوجيا في العالم عام 2023 إلى 5.18 شخص

أي ما نسبته 65% تقريبًا من سكان العالم، وهذه الأرقام مرشحة للزيادة عامًا بعد عام، وهذا هو الذي جعل التأثيرات الثقافية ليست ثابتة، وإنما قابلة للتغيير والتطور مع مرور الوقت وتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لذا، فإن تحقيق التوازن بين الحفاظ على الموروث الثقافي وتبني التطورات الحديثة يعد تحديا أساسيًّا في تربية الأجيال الصاعدة، إذ يمكن إبراز عدة جوانب للتكنولوجيا في تشكيل ثقافة الطفل، هي:

- الوصول إلى المعرفة والمحتوى: توفر التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة للأطفال وسيلة سهلة ومباشرة للوصول إلى مختلف أنواع المعرفة والمحتوى التعليمي والترفيهي، سواء أكان ذلك من خلال الإنترنت أم التطبيقات التعليمية أم وسائل الإعلام الاجتماعية.

- تعزيز التفاعل والمشاركة: تسهم التكنولوجيا في خلق بيئة تفاعلية تشجع الأطفال على المشاركة الفعالة في عمليات التعلم، سواء أكان ذلك من خلال الألعاب التعليمية التفاعلية أم المنصات التعليمية عبر الإنترنت.

- تطوير المهارات الرقمية: يمكن لاستخدام التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة أن تسهم في تطوير مهارات الأطفال الرقمية، مثل مهارات البرمجة، والتفكير اللوجستي، والتعامل مع الوسائط المتعددة، وهو ما يعدّ أساسيًا في العصر الرقمي الحديث.

- توسيع آفاق الثقافة: من خلال التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة، يمكن للأطفال أن يكتسبوا فهمًا أوسع للعالم من حولهم، بما في ذلك الثقافات الأخرى، والمعلومات العلمية والتكنولوجية الحديثة، وهذا يعزز التعددية وفتح آفاق ثقافية.

- تطوير مهارات الإبداع والابتكار: يمكن أن تسهم التكنولوجيا في تنمية مهارات الإبداع والابتكار لدى الأطفال، من خلال استخدام الأدوات التكنولوجية، لإنشاء المحتوى الإبداعي، مثل صنع الأفلام القصيرة، والرسوم المتحركة، وغيرها.

- تحقيق التواصل الاجتماعي: تسهم وسائل الإعلام الاجتماعية في توسيع دائرة التواصل الاجتماعي للأطفال، وهذا يعزز قدراتهم على التفاعل مع الآخرين وبناء علاقات اجتماعية صحية.

ومع كل هذه الفوائد، يجب أن يكون بين استخدام التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة وبين الأنشطة التقليدية والتفاعل الاجتماعي الحقيقي توازن، إذ يحتاج الأطفال إلى هذا التوازن بين العالم الرقمي والعالم الحقيقي لتطوير مهاراتهم الاجتماعية والعاطفية.

وفي الختام، يمثل الموروث الثقافي عاملاً أساسيًّا في تكوين شخصية الطفل وتشكيل هويته الثقافية، وعلى الرغم من التحديات التي قد تواجه عملية نقله وتشكيله، فإن الاهتمام بتعزيز القيم الإيجابية وتشجيع الفهم والاحترام للتنوع الثقافي يسهم في بناء مجتمعات أكثر تفاعلية ومتعايشة.

المراجع:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- حسن مصطفى عبدالمعطي؛ علم نفس النمو، الاسس والنظريات، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 201.
- رشاد الخطيب؛ روضة الأطفال نموذج مقترح،

سلسلة دراسات في تربية طفل ما قبل المدرسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991.
- زكريا على واخرون؛ رعاية الطفل في القرآن الكريم من الولادة حتى البلوغ، دراسات، علوم الشريعة والقانون، مجلد 40،ملحق 1، 2013.
- زهرة السباخي؛ ملخص كتاب بياجيه /نظرية النمو المعرفي، 2023، متاح على الموقع الالكتروني التالي:
- سامي محمد ملحم؛ علم نفس النمو، دار الفكر، عمان، 2004.
- عبدالرحمن محمد العيسوي، دراسات السلوك الإنساني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1982.
- يوسف كماش وآخرون؛ نمو الطفل التكوين الوظيفي والنفسي، دار الخليج، عمان، 2010.
- https://mawdoo3.com/%D9%85%D9%84%D8%AE%D8%B5_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D8%AC%D9%8A%D9%87_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%85%D9%88_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D9%8A#cite_note-c7075365_2a72_413b_a9bb_4309e2c39a5f-1

بحوث ودراسات

«الطفل في المرحلة العمرية الأولى: الاحتياجات وتطبيقاتها»

أ. هميس الجمني
الجمهورية التونسية

لا يقتصر إعداد الطفل والسهر على تنمية شخصيته في مراحل طفولته الأولى على الحاجات الطبيعية من غذاء ولباس وتقديم الحب والحنان له ضمن الوظائف الاقتصادية الوجدانية للعائلة، فتلبية حاجاته المعرفية والمهارية ركائز مهمة في شخصية الطفل، من أجل إعداده لحياة مجتمعية فردًا قادرًا على الاندماج في مجتمعه، متمتعا بقدرات وملكات تمكنه من تحمل مسؤولياته مستقبلا، ومندمجا في بيئته الاجتماعية،ومسهما في تلبية حاجاته وحاجات مجتمعه.

وتعدّ المرحلة العمرية الأولى للطفل أو مرحلة ما قبل المدرسة مهمة، بوصفها تحدد مساره المستقبلي، إذ تصبغ تصوراته عن الفضاء والحياة والناس، انطلاقا من العائلة، وهي السنوات التي تغرس فيها القيم والسلوكات والمهارات، فإذا استثمرت استثمارًا صحيحًا عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية المتوازنة التي تراعي مختلف جوانب حياة الطفل، فستتشكل شخصية الطفل تشكّلًا إيجابيًّا، وينشأ على الانفتاح والرغبة في التفاعل والتعايش مع الآخرين بثقة واعتزاز بالنفس.

وقد أكد العديد من المفكرين في علم النفس الطفل وعلم الاجتماع وعلوم التربية ضرورة توافر ثوابت في حياة الطفل يحتاج إليها لتنمية شخصيته البيولوجية والاجتماعية، وهي ستكون من دون شك عوامل توجه حاجاته واهتماماته مستقبلا، باعتبار أن السنوات الأولى من عمر الطفل تتمثل فيها الصور الأولى في الذهن، وتزرع فيها بذور السلوك الجيد له. لذلك، فإن الحاجات ترتبط بطرق تنفيذها عبر السلوك اليومي داخل العائلة وخارجها.

- **التعلم، الطفل والعائلة:**

التعلم حاجة إنسانية، وسلوك، وممارسة يكتسبها الطفل الذي تربى في بيئة غرست فيه حب العلم والمعرفة، من خلال المطالعة والقراءة والاستنتاج منذ الصغر، ويكون ذلك عبر خلق بيئة محفزة للتعلم الذاتي وتنمية الخلق والإبداع والابتكار.

وقد أظهرت الدراسات في علم نفس الطفل أن للبيئة العائلية والاجتماعية دورًا كبيرًا في غرس قيمة المعرفة والعلم التي يلحظها الطفل في تصرفات الكبار من حوله، كيف يواظبون على القراءة، ويتحاورون في موضوعات مهمة، ويمارسون التعلم في كل الأوقات، فالطفل بحاجة لأن يرى ثمرة التعلم في بيئته، ومن المهم تعويد الأطفال الإنصاتَ والحوارَ في مواضيع تهمهم، انطلاقا من اهتماماتهم ضمن الحياة اليومية، ويجب تشجيع الطفل على التساؤل واستكشاف العالم من حوله، لينشأ ولديه ثقة بنفسه، ودافع ذاتيّ للتعلم، من خلال الفضول، وحب الاستكشاف، والتساؤل عن كل ما يحيط به داخل العائلة وخارجها.

إن حاجة الطفل إلى التعلم تكتمل في محيط عائلي يولي الثقافة أهمّيّة، فهي جميع الممارسات التي ترتقي بالإنسان في علاقته بالآخر وبالطبيعة، من أجل تنظيم الحاجات والممارسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ضمن نسق من الروابط والعلاقات الاجتماعية المنظمة التي تولي الطفل احترامًا، بوصفه فردا من أفراد العائلة، نطمح إلى تنمية شخصيته من جوانب مختلفة.

إنّ تعليم الأطفال وتلبية حاجاتهم المعرفية يعززان مكانتهم في العائلة والمجتمع، من خلال التنشئة على حب المعرفة، واستثمارها في تنمية القدرات والمواهب الإبداعية والاستكشافية التي تعود بالفائدة على المجتمع مستقبلا، ليدخل معترك الحياة في تطوير المجتمع، عبر توظيف العلم والمعرفة، من أجل إيجاد حلول لمشكلات المجتمع.

ويتأسّس تعلم الأطفال بطرق مختلفة وضمن سياقات متنوعة، مع أفراد العائلة، ومع الأصدقاء في المنزل، وغيره من الأماكن التي يصطحب إليها الآباء أبناءهم للعب واكتساب مهارات وقدرات خارج محيط العائلة، مثل الملاعب الرياضية والمنتزهات التي تتطلب أيضا التوجيه والمرافقة والرعاية الأبوية، عبر التفاعل مع أفراد الأسرة والأصدقاء، وتعلمهم من خلال ممارسة اللعب والهوايات والأنشطة الاجتماعية والثقافية.

ويحرص الوالدان على ممارسة دور القدوة لأبنائهم من خلال التوجيه، والمصاحبة، والمناقشة الإيجابية معهم، والتحدث والتعبير عن ميولاتهم وطموحاتهم داخل المنزل وخارجه، لدعم قدراتهم على الاندماج والتفاعل تدريجيا مع العالم الخارجي، استنادا إلى ما اكتسبه داخل العائلة من قدرة على التواصل والتفاعل الإيجابي مع الغير.

- تعويد الطفل تنظيمَ الوقت

إن تعليم الطفل أهمية الوقت ضروري، ويكون ذلك بالتدرج من خلال المهمات اليومية التي يقوم بها، فتقديره لأهمية الوقت منذ الصغر يعوده حسنَ التخطيط والتنظيم، وينشأ مدركا لكل الساعات التي تمر، وكل يوم يمر في حياته بدافع ذاتي، فالطفل الذي يتعلم التزام الوقت واحترامه في سن مبكرة سيصبح متعودا التخطيط للمستقبل بدقة بما يعود عليه بالنجاح والتميز.

واحترام الوقت لدى الطفل يبدأ بالممارسة، من خلال تكليفه أعمالًا مضبوطة داخل البيت لمدة محددة، مثل تنظيم غرفة نومه، والاهتمام بسقي أزهار الحديقة، وتدريجيا يفهم معاني الوقت، ويعتاد استخدام الألفاظ المعبرة عن الوقت، انطلاقا من الأعمال التي يقوم بها والتي يتعودها من خلال تقليد الكبار، إذ يبدأ الطفل تعلم إدارة الوقت والتخطيط شيئا فشيئا لأي عمل يقوم به، مدركا الدلالات والمعاني التي ترمز للوقت ليستغله على أحسن وجه.

وينشأ الطفل على تنظيم الوقت من خلال معايشة أمور ترتبط بحياته اليومية داخل البيت وخارجه، ومن خلال ما يلاحظه من سلوكات الوالدين والأصدقاء، فيتدرب على الانضباط واحترام الواجبات الموكولة إليه في حدود الوقت المسموح به، ويتيح هذا السلوك للطفل تقسيم أنشطته وفق تحديد دقيق للجهد.

إن تنظيم وقت الطفل هو تنظيم لوقت أفراد العائلة بأكملها؛ لأن إدارة الوقت مسؤولية مشتركة تستدعي الاتفاق والتنظيم الجماعي لمختلف الأدوار التي يقوم بها كل فرد داخل العائلة، بحسب موقعه داخل العائلة وفي المجتمع.

- النشاط والعمل :

يحتاج الطفل إلى النشاط والعمل بوصفهما يميزان حياة الإنسان، إذ يكتسب هذا الأخير هويته الفردية والجماعية من خلال ما ينجزه بما يتناسب مع مؤهلاته وقدراته العقلية والجسدية، فينشأ على تحمل المسؤولية والمبادرة، من خلال تعود الإسهام في ترتيب شؤون البيت، كأن يسهم في ترتيب طاولة الطعام، وترتيب ملابسه داخل غرفة نومه، ويساعد في المنزل في بعض الأعمال البسيطة التي تتناسب دائما مع سنه وقدراته العقلية والجسدية.

وليدرك الطفل أهمية المجهود الذي يقوم به، يجدر تعظيم مجهوداته من أفراد العائلة، فنبرز الخصال والمزايا للأعمال النافعة التي يقوم بها، ونعوده تعرف دلالات الأعمال التي يقوم بها أفراد المجتمع، كأن نصطحبه معنا في الشارع، ونطلب منه أن يسمي كل مهنة يراها: الشرطي، عامل النظافة، بائع متجول،...،ونفسر له أنواع الأعمال وخصائص كل عمل وأهميته بالنسبة للمجتمع، وبذلك، يدرك الطفل أهمية كل عمل قصد تعوده تعظيم أعمال الآخرين.

والطفل محتاج إلى أن نكلفه مهمات معينة ليؤديها ويلتزم بها ويقدر مجهوده وأهمية العمل الذي يقوم به ضمن مسؤولياته، وفي أوقات محددة، مثل

تقديم الغذاء للحيوانات الأهلية في أوقات معينة، وبعض الأعمال في حديقة المنزل، وفي إطار الأعمال المنجزة، نترك للطفل حرية الاجتهاد والإبداع والابتكار، ولا سيّما المهمات التي يقدر على القيام بها، ونساعده عند الحاجة، ونبين له مراحل الإنجاز، وصعوبة بعض الأعمال، ونشرح له طرق التجاوز، من خلال المشاركة والإقناع، فبهذه الطرق، نعوده حسن التخطيط لأي عمل يروم إنجازه، ويتعود تجاوز العراقيل، وإيجاد حلول لكل الصعوبات التي تعترضه في أعماله المختلفة.

ويمارس الطفل أنشطته، ويتولى اختيار النشاط الترفيهي الذي يرغب فيه، فالأنشطة التي يختارها مع شركاء من الأصدقاء ستساعده على اكتشاف مواهبه وقدراته، شريطة أن تكون الأنشطة منظمة وعددها مناسبا، ولتجنب تشتت قدرات الطفل وإهدار وقته، يستحسن أن يبدأ الطفل في سن مبكرة بنشاط واحد، إذ تؤكد الدراسات في علم نفس الطفل أن الطفل الأقل من إحدى عشرة سنة يتاح له ممارسة نمط واحد من الأنشطة، وعند تجاوز الحادية عشرة، يمكنه توسيع مجال الأنشطة، وتكون متنوعة رياضية وفنية واجتماعية، ويتمكن من تلبية رغباته، وتوسيع اهتماماته، وتحقيق الاستفادة القصوى من كل الأنشطة والأعمال التي يمارسها.

خاتمة:

تكتسب مرحلة الطفولة المبكرة أهمية كبرى في حياة الطفل وفي تحديد مسارات نموه، فشخصيته لا تتأثر بالعوامل الوراثية فقط، بل يوجد تداخل وتكامل وتمفصل بين مكتسبات الطفل الوراثية وما تحققه العوامل الاجتماعية والتربوية.

والانتباه إلى حاجات الطفل مبكرًا، وخلال المراحل الأولى من عمره، يعزز لاحقا مكانته وأدواره داخل المجتمع بوصفه فردًا مدركا لمشاغل المجموعة، وقادرا على المشاركة الإيجابية، من خلال ما اكتسبه من قدرات معرفية وسلوكات ومهارات تمكنه من ممارسة مسؤولياته لاحقا، ضمن نسق من الروابط والعلاقات الاجتماعية، ويكون قادرا على مواكبة التغيرات والتحولات المستمرة التي تعرفها المجتمعات الإنسانية.

شخصية العدد

ماذا قدم بديع الزمان الجزري للإنسانية «بصمات واضحة وفكر أصيل تخطى عصر المحرك البخاري إلى عصر الأتمتة والروبوت»

أ. محمد حمزة منصور
جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

من أبو الإنسان الآلي (الروبوت)؟ من مخترع التروس القطعية؟ من مخترع المضخات الكابسة ذات الفعل المزدوج؟ من مخترع الصمام اللاارتدادي؟ من مخترع ذراع الكرنك؟ من صاحب فكرة المحركات في المكائن الحديثة؟ إن واحدة فقط من هذه الاختراعات كافية أن تجعل صاحبها ذا فضل على الإنسانية جمعاء، فكيف لو كانت جميعها جزءًا من أعمال شخص واحد عاش قبل ثمانية قرون! نعم فصاحبنا هو العالم والمهندس العربي المسلم بديع الزمان أبو العز ابن إسماعيل الرزاز الملقب بالجزري (1136 - 1206) الذي يعدّ أحد أعظم المهندسين المبدعيين في التاريخ.

نشأته وعصره :

ولد الجزري في منطقة الجزيرة السورية التي تقع بين دجلة والفرات، ثم عمل رئيس المهندسين في ديار بكر آمد شمال الجزيرة، وحظي برعاية حكام ديار بكر من بني أرتق، ودخل في خدمة ملوكها لمدة خمس وعشرين سنة، ابتداء من سنة 1174 م، فأصبح كبير مهندسي الميكانيكا في البلاط، وكانت وظيفته صنع الساعات والآلات الميكانيكية التي يمكن استخدامها في الري والزراعة وألعاب التسلية التي كان ينظر اليها بعض العلماء الغربيين الأوائل الذين اطلعوا على إنجازاته بأنها لغرض الترفيه، ولكنها ستعرف فيما بعد بـ «الروبوت» فهل تتصور؟!!

لا أخفي مدى إعجابي وانبهاري بهذا العالم، بعد أن قرأت عن إنجازاته في مجالات العلوم التطبيقية والهندسة الميكانيكية التي بقيت مجهولة لعدة قرون عندما أدار الزمن ظهر المجن لحضارتنا، بسبب حالة الضعف التي بدأت تمر بها الخلافة العباسية، فقد عاش الجزري في نهاية العصر الذهبي لهذه الخلافة (750 - 1258 م) التي أعقبها غزو المغول وإحراقهم بغداد ومكتباتها (1258) إضافة إلى الحروب الصليبية التي بدأت في تلك الحقبة (1096 - 1291) بالتوازي مع سقوط الممالك العربية في الأندلس، وآخرها غرناطة سنة (1492).

ورغم ظهور أعمال الجزري في حقبة متقدمة، وتوافر نسخ كثيرة من أعماله في العالم الإسلامي، فإن حالة ضعف الأمة التي بدأت بعد وفاة الجزري لم تتح الاستفادة من هذة الإنجازات الفذة، ولم تثر كتبه في المشرق الاهتمام والحركة التي كانت جديرة بها.

وقد أبدع الجزري في استخدام أفرع العلوم المختلفة وديناميكا السوائل ودمجها والخروج بتطبيقات عملية تخدم الإنسان في مجال تصميم الآلات والهندسة الميكانيكية، فكل إنجازه هو أقرب إلى العصر الحديث منه إلى عصره، إذ استخدم الكثير من اختراعاته في الثورة الصناعية ونهضة أوروبا الحديثة، وكان لها أثر كبير في تطور التكنولوجيا التي يتمتع بها عالمنا المعاصر.

وقد ساعد على ذلك وضوح تصاميمه الهندسية وشروحاته المبنية على أسس علمية دقيقة وواضحة، أضف إلى أفضاله العلمية أنه لم يستغل موهبته في اختراع أو أي سلاح أو أداة حرب، ولم يطلب منه ذلك، كما لاحظ المستشرق (ويندر) في دراسته عن ابن الرزاز الجزري، على النقيض من أحد أهم رواد النهضة الأوروبية الإيطالي ليوناردو دافنشي (1452 - 1519 م)، الذي تلاه بعدة قرون، وهذا بفضل تجليات الحضارة الإسلامية التي أنجبت هذه العبقرية.

وقد اختلف الناس في أصوله وجذوره، ولنا رأي في هذا الموضوع، إذ إنه لم يتحدث عن نفسه في جميع مؤلفاته إلا عدة سطور في مقدمة أحد كتبه المعروفة، وهذا يضيف إليه فضلا وبعدا إنسانيًا.

مؤلفاته:

من أشهر مؤلفات الجزري كتاب (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل) الذي تشير إليه بعض المصادر باسم « الآلات ذاتية الحركة» فقط، وهو من الكتب الفريدة في موضوعها في العربية وفي العالمين القديم والوسيط، فقد بدأ تصنيفه سنة 1181م، وأتمه سنة 1206م، أي إن العمل في الكتاب استغرق ربع قرن من الجهد والدراسة والبحث.

وقد كانت الأوساط العلمية تنظر إلى الكتاب بإعجاب كبير، وتعدّه الأكثر براعةً وتطوراً في زمانه، ويعد الأهم في مجال الهندسة الميكانيكية في أي حضارة كانت قبل عصر النهضة، كما يعدّ نموذجا لتطور الحركة العلمية الإسلامية وذروة إنجازاتها، فقد قدم في عمله هذا أساسا لعدد كبير من التصاميم والوسائل الميكانيكية التي مهدت الطريق أمام الهندسة الميكانيكية كما نعرفها اليوم، والتي لم تكشف وتقدر حق قدرها إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

وفي هذا العمل، صنّف الجزريّ الآلات إلى ست فئات حسب الاستخدام وطريقة الصنع، وكانت أساس التصنيفات الأوروبية في عصر النهضة، وقد أنجز 50 نسخة من هذا الكتاب في عصر الجزري توزعت على جميع الاتجاهات بعد سقوط الخلافة العباسية، ووصل كثير منها الى أوروبا، واستخدمت مرجعا رئيسا في جامعاتها فيما بعد.

ويقول دونالد هيل المهندس البريطاني المتخصص في التقنيات العربية التقليدية الذي ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية عام (1947م): « لم تكن بين يدينا حتى العصور الحديثة أي وثيقة، من أي حضارة أخرى في العالم، فيها ما يضاهي ما في كتاب الجزري من غنى في التصاميم، وفي الشروحات الهندسية المتعلقة بطرق الصنع وتجميع الآلات».

ووصفه مؤرخ العلم المعاصر جورج سارتون بأنه «أكثر الكتب من نوعه وضوحا، ويمكن عدّه ذروة الإنجازات التقنية للحضارة الإسلامية»، ويستفاد من كتابه أنه اخترع عددا كبيرا من النماذج الميكانيكية، إلا أنه اقتصر فقط على وصف خمسين نموذجا.

ويوجد اليوم بحدود خمس عشرة مخطوطة أصلية كتبت بيد الجزري أو أحد تلامذته، جميعها في متاحف أوروب ومكتباتها (متحف الفنون الجميلة في بوسطن، ومتحف اللوفر بفرنسا، ومكتبة أكسفورد، ومكتبة لينجراد) ما عدا واحدة فقط موجودة في متحف توب كابي (متحف الباب العالي) في إسطنبول، وهو المتحف الإسلامي الوحيد الذي يضم نسخة من هذا الكتاب النفيس، ولحسن الحظ هي أفضلها حالا وأوضحها.

وقد أصدر معهد التراث العلمي العربي في حلب بسورية سنة *1979* النص العربي، بعد أن حقّقه الدكتور أحمد يوسف الحسن رحمه الله وراجعه.

إسهاماته العلمية:

تتجلى إسهامات الجزري في وصفه العلمي الدقيق وبلغة واضحة لعدد من الآلات الميكانيكية المختلفة من ضاغطة، ورافعة، وناقلة، ومحركة، وهي مصطلحات علمية ما زالت مستخدمة لغاية الآن في صناعة المكائن الحديثة، وهذا ما أسهم في حفظ مخططات هذه الآلات وإعادة تصنيعها والعمل على تطويرها، وهو عمل لا يقل أهمية عن اختراعاته الفذة، كما أنه وصف بالتفصيل تركيب الساعات الدقيقة التي كانت ضمن مجال المنافسة «التكنولوجية» بين علماء عصره من الأمم المختلفة، إذ كانت هذه الساعات تبنى في الساحات العامة للمدن الرئيسية، للدلالة على ازدهارها ورخائها.

ولكن، ما الذي أضافه الجزري من اختراعات جعلته مرجعا مميزا في مجاله لعدة قرون؟ وأين تكمن إسهاماته المفصلية في الثورة الصناعية التي يجب علينا إبرازها والدفاع عنها؟ وهل هذه الاختراعات من الأهمية بحيث تسرقها حضارة أخرى وتنسبها

إليها؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة، نستعرض بعضا من اختراعات الجزري وإضافاته العلمية والهندسية:

1 - التروس القطعية :

رغم أن التروس القطعية كانت معروفة قبل الجزري، فإنه أول من استغلها بكفاية علمية فائقة، وتجلت عبقريته في استخدام التروس أول مرة في تحويل الحركة الدائرية إلى حركة تذبذبية (توافقية بسيطة) في بعدين، والعكس، وهي الفكرة الثورية الرئيسية في تدوير المكائن الحديثة.

وقد ذكر العالم لين وايت أن الكثير من تصاميم الآلات التي ابتكرها الجزري قد نقلت إلى أوروبا، وأن التروس القطعية ظهرت أول مرة في مؤلفات الجزري، وأنها لم تظهر في أوروبا إلا بعد الجزري بقرنين في ساعة جيوفاني ديدوندي (1364م) الفلكية الشهيرة التي كانت تعدّ غاية الدقة وذروة التطور التقني.

ثم ظهرت بقوة بعد قرن في التصاميم الميكانيكية لرائد عصر النهضة الأوروبية ليوناردو دافينشي.

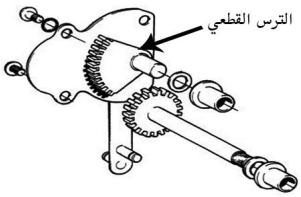

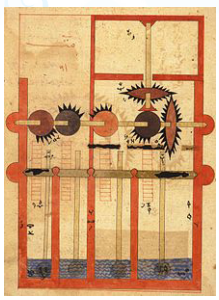

التروس القطعية

2 - العمود المرفقي (الكرنك) أو ما يعرف بالإنجليزية (Crankshaft):

وهو جزء من المحرك مسؤول عن تحويل الحركة الخطية (الانزلاقية) إلى حركة دورانية، بوساطة نظام ميكانيكي متكامل يعدّ الأساس الذي تقوم عليه المحركات العصرية ووسائل النقل.

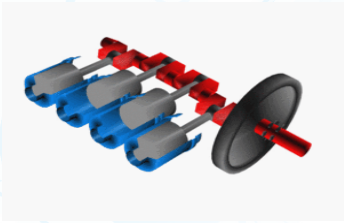

العمود المرفقي

3 - المضخة ذات الفعل المزدوج:

وهي مضخة ذات أسطوانتين متقابلتين، تقابل حاليا المضخات الماصة والكابسة، وقد استعمل فيها لأول مرة صمامات عدم الرجوع التي لا غنى عنها في تصميم المحركات الحديثة، واستخدم الجزري هذه المضخة لرفع المياه، إذ استغل قوة تدفق المياه في تدوير الأذرع لأول مرة، بعد أن كانت تدار بالقوة العضلية للحيوانات.

ويعدّها المؤرخون الجدد أساس المحرك البخاري الذي ابتكره المهندس الأسكتلندي جيمس واط (1736 - 1819 م) والذي يعدّ بداية لعصر الصناعة الحديثة في أوروبا.

وتتكون هذه المضخة من مكبسين أسطوانيين متقابلين، فإذا كان أحدهما في حالة ضغط، يكون الآخر في حالة سحب، وهو الفعل المزدوج المقصود في تسمية هذه المضخة، الذي يمكن منه تأمين تدفق

المياه من المضخة لارتفاع 40 قدمًا وبشكل مستمر.

ولتأمين التناغم بين حركة المكابس، وصل ذراع كل منهما بنفس النقطة من قرص دائري مسنن يدار بوساطة تروس متصلة بعمود الحركة المركزي الذي يتحرك بفعل تدفق مياه النهر.

ومن الجدير ذكره أن جيمس واط الذي سجل براءة اختراع المحرك البخاري عام 1769 م لم يدخل مبدأ الفعل المزدوج على هذا المحرك إلا بعد هذا التاريخ بسنوات، إذ عدّه المتخصصون من أفضل التحسينات التي أدخلت على هذا المحرك.

إن أي دارس يستطيع الموازنة بين تركيب المحرك البخاري ومضخة الجزري وطريقة عملهما، وملاحظة أوجه الشبه التالية التي تظهر أين تم التعدي على الحقوق الحضارية (إذا جاز التعبير) والملكية الفكرية:

- استخدمت التروس المسننة في تحويل الحركة العمودية إلى أفقية وبالعكس كما في المضخة.
- استخدمت نفس فكرة المضخات ذات الفعل المزدوج التي ابتكرها الجزري.
- استخدم العمود المرفقي المسؤول عن تحويل الحركة الخطية "الانزلاقية" إلى دائرية.
- استخدمت الصمامات الارتدادية.
- أضيفت تقنية التعويم المنتظم التي استخدمت في مرجل المحرك البخاري، لتحافظ على تدفق منتظم للسوائل وضغط ثابت في الخزانات.

فإذا كانت هذه الأفكار هي لب عمل المحركات ومبادئها الأساسية بمختلف أنواعها، فماذا بقي للمحرك البخاري وما تلاه من محركات الاحتراق الداخلي بعد ذلك؟

إن للحضارة تجلياتها كما للشعراء تجلياتهم، وهذه من ذرى تجليات الحضارة الإسلامية «التقنية» التي بقيت محفوظة -لحسن حظنا- لغاية الآن، وبخط يد مبدعها وتلاميذه من بعده.

ولكي تكتمل الصورة، أرجو من القارئ الكريم أن يذهب إلى موقع الحضارة الإسلامية (MuslimHeritage.com) ليرى مجمل هذه الإبداعات التقنية وطريقة عملها، وخصوصا «المضخة ذات الفعل المزدوج» إذ أعيد بناء مجسماتها ومحاكاتها ببرامج هندسية حديثة ثلاثية الأبعاد، وبجهد جبار كما رسمها صاحبنا بديع الزمان الذي له من اسمه صفاته ونفّذها.

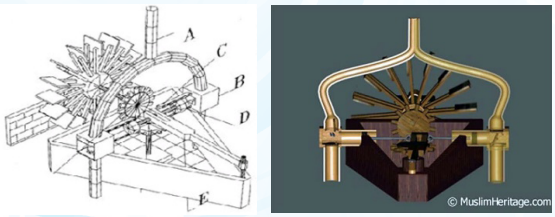

المحرك البخاري

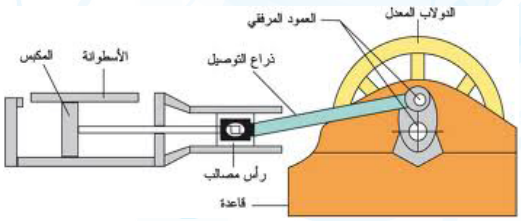

المضخة ذات الفعل المزدوج

4 - الإنسان الآلي (الروبوت):

رغم أن أول توصيف لآلات ذاتية التشغيل وثابتة ظهر على يد المخترع هيرون الإسكندراني في القرن الأول للميلاد، فإن أول إنسان آلي مكون من نظام

ميكانيكي مبرمج حسب الوقت وذاتي التشغيل ظهر على يد الجزري، إذ طلب منه السلطان ناصر الدين بن محمود بن محمد بن قرا (حسب ما ترويه القصة) أن يصنع آلة تغنيه عن الخدم كلما رغب في الوضوء للصلاة، فصنع له آلة أطلق عليها «نافورة الطاووس»، على هيئة غلام منتصب القامة، وفي يده إبريق ماء، وفي اليد الأخرى منشفة، وعلى عمامته يقف طائر، فإذا حان وقت الصلاة، يصفر الطائر ثم يتقدم الخادم نحو سيده، ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين، فإذا انتهى من وضوئه، يقدم له المنشفة ثم يعود إلى مكانه.

ثم صنع الغلام الذي يقدم الشراب الممزوج بنسب معينة وضحها بشكل دقيق في كتابه، وبعد ذلك، بدأ يقدم نماذج أكثر تعقيدا، مثل مجموعة من الروبوتات على هيئة فرقة موسيقية تعزف بأدوات موسيقية كانت شائعة في ذلك الوقت، وغيرها كثير.

وهنا، يجب التفكير في فلسفة الجزري الذي كان يعتقد بالاستفادة من قوى الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسان، لذلك، استغل فكرة الاستفادة من قوة جريان المياه، والفائدة الميكانيكية، وطاقة الوضع الميكانيكية، وديناميكا الموائع والضغط الناتج عنها، وخصائص المادة، والاتزان، والقوى المتبادلة، وحتى حفظ الطاقة الميكانيكية، فجميعها تظهر جلية في اختراعاته.

إنّ كل ما تقدم يؤكد أن ابتكار النظم الميكانيكية ذاتية الحركة وبرمجتها جزء أصيل في تفكير هذا العبقري المبدع، علما بأن أول تصميم لإنسان آلي بشري الشكل واسمه (الفارس الآلي) ظهر في في أوروبا عام 1495م على يد ليوناردو دافينشي.

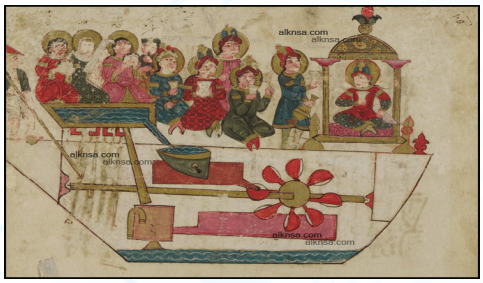

نماذج من فرق الجزري الموسيقية القابلة للبرمجة

5 - الساعات الدقيقة:

وصف الجزري بدقة ساعات كثيرة لم تكن معروفة من قبل وصمّمها، وهي ذات أهمية كبيرة لكثرة ما فيها من أفكار ومبادئ علمية شديدة الوضوح، وقد أخذت هذه الساعات اسمها من الشكل الخاص الذي يظهر فوقها مثل: ساعة الفيل، وساعة الرامي البارع، وساعة الكاتب، وساعة الطبال...إلخ.

ولأن صناعة الساعات كانت مجال منافسة وتحدٍّ في ذلك العصر، فقد كان قسم الساعات أطول الأقسام في كتاب الجزري، ويذكر دونالد هيل «بأن الجزري صنع ساعات مائية وساعات تتحرك بفتائل القناديل، وآلات قياس، ونافورات، وآلات موسيقية، وأخرى لرفع المياه، كما صنع إبريقا جعل غطاءه على شكل طير يصفر عند استعماله لحقبة قصيرة قبل أن ينزل الماء».

ويكفي أن نشير هنا إلى ساعة الفيل لكي نرى مقدار الإبداع الذي تجلى في المزج بين أفرع العلوم المختلفة، حتى ليظن

الدارس والمتابع لحركة الكرات والأذرع المختلفة أنه كان على بعد خطوات من مبدأ «حفظ الطاقة الميكانيكية» العتيد، فليس من المعقول أن يصنع عالم بوزن الجزري ساعة بحجم فيل وما عليه من عدة وعتاد لكي تشير إلى الوقت فقط، وهو القادر على صناعة ساعة بنفس الدقة يمكن حملها ووضعها على طاولة صغيرة كساعة الكاتب.

ففي هذه الساعة، تتحرك الدمى ولأول مرة حركة مبرمجة، وبعد أحقاب زمنية محددة (نصف ساعة أو ساعة) يضرب الإنسان الآلي الصنج (آلة موسيقية) وتغرد الطيور الميكانيكية، وكل ذلك مرتبط بتدفق المياه في خزانات داخل جسم الفيل، وتحكمها تقنية التعويم المنتظم المذكورة سابقا، مشكّلة نظاما مغلقا يعزز فكرة مبدأ حفظ الطاقة، إذ تعمل الساعة ما دام هناك كرات معدنية في مخزنها العلوي.

وبعد مرور أكثر من 100 عام على وفاة الجزري، شاهد هذه الساعة الرحالة العربي شمس الدين محمد بن عبدالله المشهور بابن بطوطة، ووثقها في كتاباته التي عرفت فيما بعد برحلة بن بطوطة، فقد تحدث عن الساعة المدهشة واصفا إيّاها (بأنها اختراع عبقري جمعت بين فيل هندي وخادم صيني ومهندس عربي وتقنية معالجة مياه يونانية، ترى ماذا يمكن أن يبنى على هذا الاختراع؟)

وبقي سؤال ابن بطوطة مفتوحا ومدويا.

ويمكن مشاهدة هذه الساعة بحجمها الحقيقي في عدة أماكن، مثل مركز تسوق "ابن بطوطة مول" في دبي، وجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية في جدة، ومتحف الساعات في سويسرا، وفي لندن ونيويورك.

وللإحاطة بالأفكار والمبادئ العلمية التي استخدمها الجزري في هذه الساعة وغيرها من الآلات، يمكن زيارة موقع (MuslimHeritage.com) الذي بذل القيمون عليه جهدا جبارا في التعريف بمنجزات الحضارة الإسلامية ورموزها، كما يمكن مشاهدة فلم قصير وجميل بعنوان (1001 اختراع و مكتبة الأسرار) للبريطاني من أصول هندية "بن كنجسلي" والحائز على الأوسكار عن دوره في فلم "غاندي" الشهير.

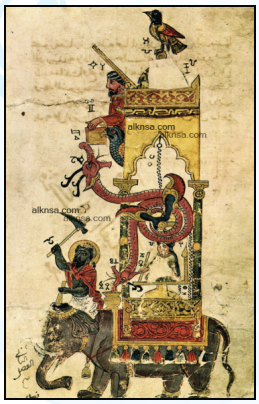

ساعة الفيل

6 - آلات رفع المياه والنافورات:

استخدم الجزري عبقريته لتسهيل حياة الناس، ولأن الزراعة والري كانا جزءا من حياة المجتمعات المستقرة، فقد اهتم في هذا المجال وأفرد له بابا خاصا في كتابه، فقد وصف بدقة آلات رفع مياه كانت مستخدمة من قبل ورسمها بحيث يسهل بناؤها وفهم طريقة عملها.

ثم ما لبث أن أدخل تعديلا جوهريا عليها، بحيث استفاد من قوة تدفق المياه في تحريك آلات الرفع بدلا من استخدام الحيوانات، وهذه النقلة تظهر واضحة في آلة ضخ الماء الثالثة التي وصفها في كتابه، وأحد النماذج الشهيرة عن هذه الآلة كان يوجد على نهر يزيد في دمشق في القرن الثالث عشر، إذ كانت تضخ المياه لأحد مستشفيات المدينة، وما زالت آثارها قائمة لغاية اليوم، كما يوجد في دمشق حتى الآن آثار

من ناعورة ماء من تصميم الجزري مبنية على نهر بردى (فرع يزيد) بالقرب من مسجد ابن عربي.

ورغم أن آلة الضخ الرابعة التي وصفها كانت تستخدم الحيوانات، فإنها الآلة الأولى المعروفة في العالم التي تستخدم ذراع الكرنك.

وأما آلة الضخ الخامسة التي وصفها، فهي المضخة ذات الفعل المزدوج التي ابتكرها والمذكورة سابقا.

أضف إلى كل ما تقدم اختراعه للبدالة، وتغليف الخشب لمنع التوائه، والموازنة الإستاتيكية للعجلات، واستخدام النماذج الورقية لتمثيل التصاميم الهندسية، وصب المعادن في صناديق القوالب المغلقة باستخدام الرمل الأخضر، والكثير من الآلات غير هذه التي تحتاج منا إلى إعادة اكتشافها وتحمل مسؤولية نسبتها إلى صاحبها.

ومما تقدم، يتضح أننا أمام عبقرية منفتحة سبقت زمنها بعدة قرون في مجالات تطبيقية عدة، أهمها: الآلات الميكانيكية والهيدروليكية التي لها اتصال مباشر بمعيشة الناس، وقد حرصنا على اختيار أهم أعماله التي كان لها تأثير واضح في الثورة الصناعية الحديثة، وحري بنا أن نجعل منه أيقونة التخصصات العلمية والهندسية في جامعاتنا.

ونحن في الجمعية العلمية لكلية العلوم بجامعة الشارقة، وإحياءً لذكرى هذه العبقرية الفذة، أخذنا على عاتقنا إعادة بناء نماذج من أعماله الرئيسية وتقديمها للجمهور وزوار الجامعة لإعادة التعريف بهذه العبقرية الفذة التي لم تعط حقها من الوفاء والتقدير.

وأختم بقصيدة شعر يعدّها اليابانيون أفضل ما قيل في تاريخهم الشعري عنوانها (جزيرة ميشوشيما)، فعندما وقف الشاعر أكوباتا أمام هذه الجزيرة لأول مرة بهر بجمالها وقال قصيدته المؤلفة من كلمة واحدة فقط (أوه)!!.. ثم سكت.

المراجع الرئيسية:

1 - الحسن، أحمد يوسف. 1979. الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل،ط1. حلب، معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب.

2 - صورة المخطوطة الأصلية لبديع الزمان الجزري، مكتبة جمعة الماجد، دبي

3 - موقع الحضارة الإسلامية MuslimHeritage.com

مؤسسة العدد

قرى الأطفال أس أو أس SOS

د. منذر الطمني
أستاذ باحث في علم الاجتماع ـ جامعة تونس

تعدّ قرى الأطفال " أس أو أس" SOS تنظيمًا دوليا يشرف عليه الاتحاد الدولي لقرى الأطفال، ويضم أكثر من 158 جمعية وطنية، وهي منتشرة في جميع أنحاء العالم.

ويعدّ الاهتمام بفاقدي السند الأسري، والعمل على رفع العراقيل التي يمكن أن تهدد سلامتهم البدنية والمعنوية لغاية تحقيق اندماجهم وانصهارهم في المجتمع، يعدّ مسؤولية مشتركة بين كل الفاعلين في المجتمع، عبر الوظائف التي تنجزها مؤسسات المجتمع التربوية والتعليمية وبقية المؤسسات الاقتصادية والثقافية، باعتبار أن حاجات الطفل متكاملة ومرتبطة ببعضها، من أجل تحقيق تربية متوازنة ومتكاملة تعزز مكانة الطفل في مجتمعه.

1 - قرى الأطفال "أس أو أس" التعريف، المبادئ، الأهداف:

أ- قرى الأطفال "أس أو أس": التعريف والمبادئ:

قرى الأطفال "آس أو آس" مؤسسات ذات طابع اجتماعي، وهي تنظيم دولي غير ربحي، وتعمل مع المجتمعات بصرف النظر عن دياناتها ولغاتها وأعراقها وعاداتها وتقاليدها، لضمان حقوق الطفل التي نصت عليها المواثيق الدولية، وقد أنشئ التنظيم في النمسا سنة 1949.

وتعمل مؤسسات "أس أو أس" على تنفيذ مضمون المادة 25 من اتفاقية حقوق الطفل التي تنص على ما يأتي:"حق الطفل الذي تودعه السلطات المختصة في مؤسسات "أس أو أس" لأغراض الرعاية أو الحماية أو علاج صحته البدنية أو العقلية في مراجعة دورية، وهي حق من حقوق الطفل".

فالاهتمام بصحة الطفل البدنية والعقلية والنفسية ضرورة ملزمة (معاهدة فيينا 1993)، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تعريض الطفل للإهمال، باعتبار أن التعامل مع الطفل في إطار أنشطة مؤسسات "أس أو أس" يكون على قاعدة التكامل المنشود بين صحة الطفل البدنية والمعنوية، فلا تستقيم شخصيته بدون رعاية متكاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الجوانب في حياة الطفل.

وتتعاون مؤسسات "أس أو أس" مع كل المتداخلين الفاعلين : الدولة ومكونات المجتمع المدني من أجل أن ينشأ الطفل في محيط طبيعي يؤمن له الرعاية الكافية، وتنص ديباجة اتفاقية حقوق الطفل على أنه " كي تترعرع شخصيته ترعرعا كاملا ومتناسقا، ينبغي أن ينشأ في بيئة أسرية، وفي جو من السعادة والمحبة والتفاهم"، لذلك، تتعاون المؤسسة مع كل الفاعلين لضمان رعاية بديلة تشمل الحضانة أو الكفالة أو التبني عند الضرورة.

وتضمن مؤسسات "أس أو أس" الاستمرار في تربية الطفل بما يتناسب مع قدراته الفكرية وخلفيته الإثنية والدينية والثقافية واللغوية (المواد 8،21،30 من اتفاقية حقوق الطفل، 1989) والاستمرار في التوجيه والرعاية والتحري عند اتخاذ أي إجراء من شأنه أن يهدد سلامة الطفل البدنية والمعنوية وتمتعهم بحقوقهم وحرياتهم المنصوص عليها في اتفاقية حقوق الطفل وبقية النصوص الدولية والوطنية الضامنة لهذه الحقوق (معاهدة فينا 1993) فينشأ الطفل على المطالبة بحقوقه، ويحترم حقوق الآخرين مقابل احترام واجباته، من أجل التعايش في إطار مجتمع يكفل العدل والمساواة بين الأفراد والمجموعات.

وبهذا المعنى تسعى مؤسسات "أس أو أس" إلى الإسهام مع باقي مؤسسات المجتمع في تحقيق اندماج الأطفال فاقدي السند العائلي في محيطهم الاجتماعي.

ب-فاقدو السند الأسري : المفهوم والملامح

من هو فاقد السند الأسري؟

فاقد السند الأسري هو الطفل الذي يفتقر إلى أحد الوالدين أو كليهما، وتتعدد أسباب فقدان السند

العائلي، فمن أهمها وفاة الوالدين، أو الحكم بالسجن على أحدهما، وعدم قدرة الطرف المتبقي على تقديم الرعاية الضرورية.

ويعدّ الزواج المبكر، وتجنيد الأطفال في الصراعات المسلحة، وإرسالهم للتشغيل في سن مبكرة، والإنجاب خارج إطار الزواج من أبرز الأسباب التي تهدد الطفل في سلامته البدنية والمعنوية، بسب افتقاره لهويته من ناحية عدم معرفة النسب، وينتج من هذه العوامل التي تسبب فقدان السند العائلي أن هؤلاء الأطفال يصبحون عرضة أكثر من غيرهم لكل أشكال الانتهاكات والتجاوزات، ومنها انعدام أو نقص في الرعاية الصحية الكافية والتعليم الأساسي بسبب الإهمال.

ويؤكد تقرير صدر لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) والبنك الدولي، جانفي 2023 أن 333 مليون طفل حول العالم يعانون الفقر المدقع، بسبب عوامل مختلفة، منها وباء فيروس كورونا، والنزاعات، والتغير المناخي، وهي عوامل تسبب هشاشة وضعية الطفل، إضافة إلى فقدان السند العائلي.

ولتخفيف معاناة الأطفال فاقدي السند العائلي، تحرص المواثيق الدولية على تثبيت الهوية لدى الطفل، وقد ورد في الفصل السابع من اتفاقية حقوق الطفل ما يأتي: "يجب تسجيل الأطفال عند ولادتهم، وأن يكون لهم أسماء وجنسيات، وأن يكون لهم الحق في أن يعرفوا والديهم، وأن يحصلوا على العناية منهم".

إنّ فقدان الهوية بالنسبة للطفل ينعكس على شخصيته، وقد يتحول إلى شخص عنيف، متسلط، كئيب، منفصم الشخصية، لذلك، تضمنت اتفاقية حقوق الطفل ما يكفل من قوانين لضمان حقوق الطفل، ولا سيّما اعتراف المجتمع به، من خلال المؤسسات التي تستقطب الأطفال من أجل تقديم الرعاية اللازمة لهم، وقد ورد في الفصل العشرين من اتفاقية حقوق الطفل ما يأتي : "يحق لكل طفل غير قادر على الحصول على الرعاية من عائلته أن يحصل على رعاية مناسبة من أشخاص يحترمون دينه وثقافته ولغته والجوانب الأخرى من حياته".

وتساعد رعاية الأطفال فاقدي السند العائلي التي ضمنتها المواثيق الدولية على تجاوز معاناتهم النفسية والاجتماعية وتحقيق اندماجهم تدريجيا في المجتمع.

ج- الأهداف والرهانات:

ترتبط مؤسسة أس أو أس بمصالح الأطفال من خلال مسؤولية الحماية والرعاية، وهي مسؤوليات تجسم الرعاية المناسبة للطفل، من خلال السهر على تربيته ونموه عبر تأمين الظروف المعيشية اللازمة، وتوجيهه وإرشاده في كل ما يتوافق مع مستواه ومؤهلاته الفكرية والبدنية، لتحقيق نمو متوازن بدنيا وفكريا.

وتهدف مؤسسات "أس أو أس" إلى تأمين تربية تعتمد على تمرير القيم الإنسانية التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة (ديسمبر 1945) مثل قيم الكرامة والسلم والحرية والعدل والمساواة والتسامح.

(ديباجة ميثاق الأمم المتحدة).

تلتزم مؤسسات رعاية الأطفال "أس أو أس" احترام كرامة الطفل وحمايته من كل أشكال العنف المادي والرمزي، فالإهمال والاستغلال، سواء أكان اقتصاديا (تكليف الأطفال القيام بأعمال من أجل الحصول على منافع ...) أم جنسيا (مثل التحرش والاعتداء الجنسي) سواء أكان داخل المؤسسة أم خارجها أمور تؤدي إلى انفصام في شخصية الطفل، ومن دون شك، يؤثر ذلك في سلوكه في مراحل الشباب والكهولة.

وتسهم مؤسسات رعاية الطفولة "أس أو أس" في التحضير والدعم لحياة ما بعد الرعاية، فنظرا للتحديات التي تنتظر الطفل في مرحلة ما بعد الرعاية حتّى يصبح شابا، وما تقتضيه هذه المرحلة العمرية من إعداد جيد، فإن تدريب الطفل على المهارات الحياتية التي تتماشى وقدراته وتطلعاته أمر مهمّ(دليل الرعاية البديلة للأطفال، الأمم المتحدة، الجمعية العامة، ديسمبر 2009).

وتساعد مؤسسات رعاية الطفولة الأطفال على اكتساب شخصية متوازنة في محيط سليم يراعي كرامتهم ضمن بيئة أسرية بديلة، وتؤمن مؤسسة "أس أو أس" علاقة عاطفية متوازنة للأطفال، توفر في إطارها مختلف أشكال الرعاية: التربية،التعليم، التوجيـــه والإرشاد التربوي، حتى يستقل هـــؤلاء من خلال العمل وتكويـن أســر مستقلــة بذاتهــا (https://www.sos-usa.org/who-we-are/about-us/history)

وتؤسّس مؤسسات «أس أو أس» لرعاية الأطفال لروابط اجتماعية متينة، من خلال تنظيم محكم وعلاقات سليمة بين مختلف الفاعلين في المؤسسة، ضمن إطار أسري يمكن الأطفال من العيش وفق متطلباتهم وانتظاراتهم التي عادة ما ترتبط بسنهم ومستواهم الفكري وميولاتهم العاطفية، وتسعى المؤسسة من خلال أنشطتها الاجتماعية والثقافية، وبالتعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية إلى تعزيز مشاركة الطفل ضمن أنشطة ثقافية جماعية، فالمنظمة الدولية مثل اليونسكو والمنظمة الإقليمية مثل الألكسو والإيسسكو وغيرهما تساعدان الدول في مجالات التربية والتعليم والثقافة، من أجل أن يواصل الطفل اليوم بعد خروجه من مؤسسات الرعاية "أس أو أس"أنشطته ضمن فضاءات جديدة، وفي تفاعل مستمر يهدف إلى تحمل المسؤولية، وخوض الحياة العملية ضمن واقع جديد وبتجارب متعددة يحملها الشاب منذ طفولته وكامنة في شخصيته، من خلال ما توافر له من رعاية عبر مؤسسة "أس أو أس" وارتسمت في شخصيته.